المغني في التفسير

المُحَرِّرُ الجَامِعُ لِتَفَاسِيرِ السَّلَفِ

[تَهْذِيبُ التَّفْسِيرِ المُحَرَّرِ لِلدُّرَرِ السَّنِيَّةِ]

[مُطَرَّزًا بِحَاشِيَةٍ مِنْ تَحْرِيرَاتٍ وَتَرْجِيحَاتٍ وَتَعْلِيقَاتِ عُيُونِ تَفَاسِيرِ المُحَقِّقِينَ فِي التَّفْسِيرِ:

{ابْنِ جَرِيرٍ، وَابْنِ عَطِيَّةَ، وَابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ، وَابْنِ كَثِيرٍ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى}

كَتَبَهُ وَاعْتَنَى بِهِ

د/ هَانِي بْن عَبْده

د/ آلَاء رِضَا

«المُغْنِي فِي التَّفْسِيرِ»

المُحَرِّرُ الجَامِعُ لِتَفَاسِيرِ السَّلَفِ

[تَهْذِيبُ التَّفْسِيرِ المُحَرَّرِ لِلدُّرَرِ السَّنِيَّةِ]

[مُطَرَّزًا بِحَاشِيَةٍ مِنْ تَحْرِيرَاتٍ وَتَرْجِيحَاتٍ وَتَعْلِيقَاتِ عُيُونِ تَفَاسِيرِ المُحَقِّقِينَ فِي التَّفْسِيرِ:
{ابْنِ جَرِيرٍ، وَابْنِ عَطِيَّةَ، وَابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ، وَابْنِ كَثِيرٍ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى}
مُقْتَبَسَةً مِنْ مُوسُوعَةِ التَّفْسِيرِ المَأْثُورِ

كَتَبَهُ وَاعْتَنَى بِهِ

د/ هَانِي بْنُ عَبْدِهِ

د/ آلَاء رِضَا

غَفَرَ اللَّهُ لَهُمَا وَلِوَالِدَيْهِمَا وَلِمَشَايِخِهِمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ

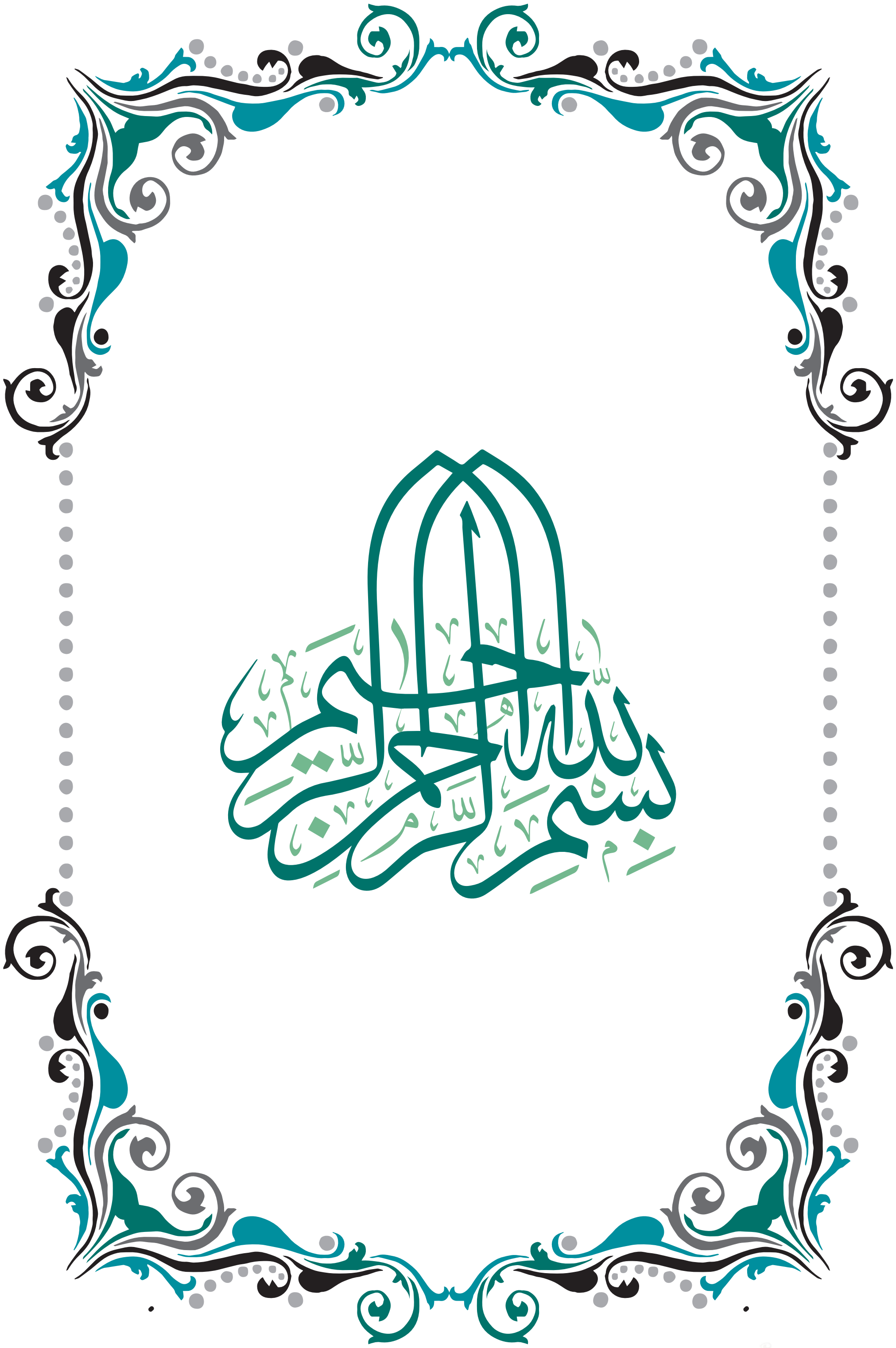
بسم الله الرحمن الرحيم

«المُغْنِي فِي التَّفْسِيرِ»

المُحَرِّرُ الجَامِعُ لِتَفَاسِيرِ السَّلَفِ

سُورةُ العَلَقِ، سُورةُ القَدْرِ، سُورةُ البَيِّنةِ، سُورةُ الزَّلْزَلةِ، سُورةُ العادِياتِ، سُورةُ القارِعَةِ، سُورةُ التَّكاثُرِ،
سُورةُ العَصْرِ، سُورةُ الهُمَزَةِ، سُورةُ الفِيلِ، سُورةُ قُرَيْش، سُورةُ الماعُونِ، سُورةُ الكَوْثَرِ، سُورةُ الكافِرُونَ،
سُورةُ النَّصْرِ، سُورةُ المَسَدِ، سُورةُ الإِخْلاصِ، سورةُ الفَلَقِ، سورةُ النَّاسِ

(الْمُجَلَّدُ الرَّابِعُ وَالْأَرْبَعُونَ)

"هَذِهِ مُسْوَدَّةُ نُسْخَةٍ إِلِكْتْرُونِيَّةٍ، جَمِيعُ حُقُوقِهَا مَحْفُوظَةٌ لِلْمُؤَلِّفِ.

لَا يُسْمَحُ بِنَشْرِهَا أَوْ تَدَاوُلِهَا إِلَّا بِإِذْنٍ كِتَابِيٍّ صَرِيحٍ مِنَ الْمُؤَلِّفِ."

نسخة
إلكترونية

تَفْسِيرُ

سُورَةِ العَلَقِ

سُورةُ العَلَقِ

سُورةُ العَلَقِ

سُمِّيَت هذه السُّورةُ بسُورةِ: العَلَقِ.(1)

وسمِّيت أيضًا: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ:

فعن جابرٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((صلَّى مُعاذُ بنُ جَبَلٍ الأنصاريُّ بأصحابِه العِشاءَ، فطَوَّل عليهم، فقال له النَّبيُّ – ﷺ –: أتُريدُ أن تكونَ فتَّانًا يا مُعاذُ؟ إذا أمَمْتَ النَّاسَ فاقرَأْ بـ «الشَّمسِ وضُحاها» وسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى واقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ و«اللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى»)).(2)

فضائل السورة وخصائصها:

1– أنَّ الآياتِ الخَمْسَ مِن أوَّلِها هي أوَّلُ ما نزَل مِن القُرآنِ.

---

(1) سُمِّيَت بذلك؛ لذِكْرِ لَفظِ العَلَقِ في أوَّلِها.

يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (433/3).

(2) أخرجه مسلم (465).

فعن عائشةَ، زَوجِ النَّبيِّ – ﷺ –، قالَتْ: ((كان أوَّلَ ما بُدِئَ به رسولُ اللهِ – ﷺ –الرُّؤْيَا الصَّادِقةُ في النَّومِ، فكان لا يرى رُؤْيا إلَّا جاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ،(3) ثُمَّ حُبِّب إليه الخلاءُ، فكان يَلْحَقُ بغارِ حِراءٍ فيَتَحَنَّثُ فيه(4) –قال: والتَّحنُّثُ: التَّعبُّدُ– اللَّيالِيَ ذَواتِ العَدَدِ،(5) قبْلَ أنْ يَرْجِعَ إلى أهلِه ويَتَزَوَّدُ لذلك، ثُمَّ يرجِعُ إلى خَديجةَ فيَتزوَّدُ بِمِثْلِها، حتَّى فَجِئَهُ الحقُّ وهو في غارِ حِراءٍ، فجاءَه المَلَكُ، فقال: اقْرَأْ، فقال رسولُ اللهِ – ﷺ –: ما أنا بقارِئٍ، قال: فأخَذَني فغطَّني(6) حتَّى بَلَغ مِنِّي الجهْدَ، ثُمَّ أرْسَلَني، فقال: اقْرَأْ، قُلْتُ: ما أنا بقارِئٍ، فأخَذني فغطَّني الثَّانيةَ حتَّى بَلَغ مِنِّي الجهْدَ، ثُمَّ أرْسَلَني فقال: اقْرَأْ، قُلْتُ: ما أنا بقارِئٍ، فأخَذني فغطَّني الثَّالثةَ حتَّى بَلَغ منِّي الجهْدَ،(7) ثُمَّ أرْسَلني، فقال:

---

(3) فَلَقِ الصُّبْحِ: أي: ضَوئِه وإنارَتِه.
يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (471/3).

(4) يَحتمِلُ أنْ يكونَ مِن كلامِ عُروةَ راوي الحديثِ عن عائشةَ، أو مَنْ دونَه مِن رواةِ الحديثِ.
يُنظر: ((فتح الباري)) لابن حجر (717/8).

(5) اللَّياليَ ذواتِ العَدَدِ: اللَّياليَ: مَنصوبةٌ على الظَّرفِ يتعَلَّقُ بقَولِه «يتحَنَّثُ»، وإبهامُ العددِ لاختلافِه، وهو بالنِّسبةِ إلى المُدَدِ الَّتي يتخَلَّلُها مجيئُه إلى أهلِه، وإلَّا فأصلُ الخَلوةِ قد عُرِفت مُدَّتُها، وهي شَهرٌ.
يُنظر: ((فتح الباري)) لابن حجر (23/1).

(6) فغَطَّني: الغَطُّ: العَصْرُ الشَّديدُ والكَبْسُ.
يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (373/3).

(7) رُوِي بفتحِ الجيمِ والنَّصْبِ أيْ: بَلَغ الغَطُّ منِّي غايةَ وُسْعي، ورُوِي بضَمِّ الجيمِ والرَّفْعِ أيْ: بَلَغ منِّي الجُهْدُ مَبْلَغَه.
يُنظر: ((فتح الباري)) لابن حجر (24/1).

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ الآياتِ إلى قولِه: عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ [العلق: 1- 5])).(8)

2- في سُورةِ العلق سَجدةٌ.

وذلك عندَ قَولِه تعالى: وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ [العلق: 19]، وممَّا يدُلُّ على ذلك ما جاء عن أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْه، قال: ((سَجَدْنا مع النبيِّ - ﷺ -في إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ [الانشقاق: 1]، واقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ [العلق: 1])).(9)

سُورةُ العَلَقِ مَكِّيَّةٌ، نَقَل الإجماعَ على ذلك غَيرُ واحِدٍ مِنَ المُفَسِّرينَ.(10)

---

(8) أخرجه البخاري (4953)، ومسلم (160).

(9) أخرجه مسلم (578).

(10) مِمَّن نَقَل الإجماعَ على ذلك: ابنُ عطيَّة، وابنُ الجوزيّ، والقُرطبيُّ، والبِقاعي.
يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (472/5)، ((تفسير ابن الجوزي)) (466/4)، ((تفسير القرطبي)) (117/20)، ((مصاعد النظر)) للبقاعي (212/3).

مِن أهَمِّ مَقاصِدِ السُّورة:

تَثْبيتُ الرَّسولِ – ﷺ –، وتهديدُ كلِّ مَن يقِفُ في وجهِ دعوةِ الإسلامِ.

مِن أهمِّ الموضوعاتِ الَّتي اشتَمَلَتْ عليها السُّورةُ:

1– التَّنويهُ بشَأنِ القِراءةِ والكِتابةِ، والعِلمِ والتَّعَلُّمِ.

2– التَّهديدُ لكُلِّ مَن يَقِفُ في وَجهِ دَعوةِ الإسلامِ.

3– إعلامُ النَّبيِّ – ﷺ – بأنَّ اللهَ تعالى مُطَّلِعٌ على ما يُبَيِّتُه له أعداؤُه، وأنَّه سُبحانَه قامِعُهم، وناصِرُه عليهم.

4– أمْرُه – ﷺ – بأن يمضِيَ في طَريقِه، وأن يُصَلِّيَ ويقتَرِبَ مِن رَبِّه.

* * *

سُورةُ العَلَقِ

الآيات (1–5)

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)

غريب الكلمات:

عَلَقٍ: أي: دمٍ جامدٍ، جمعُ عَلَقةٍ، والعَلَقُ: التَّشَبُّثُ بالشَّيءِ، وأصلُ (علق): يدُلُّ على تعلُّقِ شَيءٍ بشَيءٍ.

* * *

تفسير الآيات:

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1).

أي: اقرَأْ –يا محمَّدُ– ما أُنزِلَ إليك مِن القُرآنِ مُفتَتِحًا بذِكرِ اسمِ رَبِّك الخالِقِ.(11)

عن عائِشةَ رَضِيَ الله عنها أنَّها قالت: ((أوَّلُ ما بُدِئَ به رَسولُ اللهِ – ﷺ – مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيا الصَّالِحةُ في النَّومِ، فكان لا يرى رُؤيا إلَّا جاءت مِثْلَ فَلَقِ الصُّبحِ، ثمَّ حُبِّبَ إليه الخَلاءُ، وكان يخلو بغارِ حِراءٍ، فيَتحَنَّثُ فيه –وهو التَّعَبُّدُ– اللَّياليَ ذَواتِ العَدَدِ قبْلَ أن يَنزِعَ(12) إلى أهْلِه، ويتزَوَّدُ لذلك، ثمَّ يَرجِعُ إلى خديجةَ فيَتزَوَّدُ لِمِثْلِها، حتَّى جاءه الحَقُّ وهو في غارِ حِراءٍ، فجاءه المَلَكُ فقال: اقرَأْ. قال: ما أنا بقارئٍ. قال: فأخَذَني فغَطَّني حتَّى بَلَغ مِنِّي الجَهْدَ، ثمَّ أرسَلَني، فقال: اقرَأْ. قُلتُ: ما أنا بقارئٍ، فأخَذَني فغَطَّني الثَّانيةَ حتَّى بَلَغ مِنِّي الجَهْدَ ثمَّ أرسَلَني، فقال: اقرَأْ. فقُلتُ: ما أنا بقارئٍ. فأخَذَني

---

(11) الآيات الخمس الأولى من سورة العلق هي أول آيات القرآن نزولًا.

وقد ذكر ذلك ابنُ عطية (٨/ ٦٥١)، وذكر قولين آخريين، فقال: «ورُوِي من طريق جابر بن عبد الله أنّ أول ما نزل: ﴿يا أيها المدثر﴾.

وقال أبو مَيْسرة عمرو بن شرحبيل: أول ما نزل فاتحة الكتاب».

ثم رجّح –مستندًا إلى السنة– القول الأول، فقال: «والقول الأول أصح، والترتيب في إخبار النبي – ﷺ – يقتضي ذلك».

(12) يَنْزِعَ: أي: يَرْجِعَ.

يُنظر: ((فتح الباري)) لابن حجر (23/1).

فغطَّني الثَّالِثةَ ثمَّ أرسَلَني، فقال: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ [العلق: 1 – 3]))(13).

خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2).

أي: خَلَق الإنسانَ مِن دَمٍ غليظٍ جامدٍ.

كما قال تعالى: ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى [القيامة: 38].

اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3).

أي: اقرَأْ –يا محمَّدُ– القُرآنَ، وربُّك ذو المحاسِنِ والمحامِدِ، الكامِلُ الصِّفاتِ، الكَثيرُ الخَيراتِ.

كما قال تعالى: وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ [الكهف: 27].

الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4).

أي: الَّذي عَلَّم عِبادَه الخَطَّ بالقَلَمِ؛ فانتَفَعوا بالكِتابةِ نَفْعًا عَظيمًا.

كما قال تعالى: ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ [القلم: 1].

---

(13) رواه البخاري (3) واللَّفظُ له، ومسلم (160).

عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5).

أي: علَّم الإنسانَ العُلومَ والأشياءَ النَّافِعةَ الَّتي لم يكُنْ يَعلَمُها.

كما قال تبارك وتعالى: وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ [النحل: 78].

◆

سُورةُ العَلَقِ

الآيات (6–19)

كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى (6) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى (7) إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى (8) أَرَأَيْتَ الَّذِي
يَنْهَى (9) عَبْدًا إِذَا صَلَّى (10) أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى (11) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى (12)
أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (13) أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى (14) كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ
(15) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (16) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (17) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (18) كَلَّا لَا تُطِعْهُ
وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ (19)

غريب الكلمات:

لَيَطْغَى: أي: يَتجاوَزُ الحَدَّ في الخُروجِ عن الحَقِّ، وأصلُ (طغى): هو مجاوَزةُ الحَدِّ في العِصْيانِ.

الرُّجْعَى: أي: المَرجِعَ والرُّجوعَ، يُقالُ: رجَعَ إليه يرجِعُ رُجوعًا ومَرجِعًا، ورُجْعَى: مصدَرٌ على فُعْلَى. وأصلُ (رجع): يدُلُّ على رَدٍّ وتَكرارٍ.

لَنَسْفَعَنْ بِالنَّاصِيَةِ: أي: لَنَقبِضَنَّ بناصيتِه ونَجُرُّه بها ذليلًا، والسَّفْعُ: الجَذْبُ بشِدَّةٍ، يُقالُ: سَفَعَه: إذا اقتلَعَه مِن مَوضِعِه بجَذْبِ بَعْضِه جذبًا شَديدًا. وقيل: أي: لَنُحرِقَنَّه ولَنُسَوِّدَنَّ وَجْهَه؛ مأخوذٌ مِن سفَعَتْه النَّارُ: إذا أحرَقَتْه، وغيَّرَت وَجْهَه إلى حالِ تسويدٍ. والنَّاصيةُ: شَعرُ مُقَدَّمِ الرَّأسِ، وقد يُعَبَّرُ بها عن جملةِ الإنسانِ، وأصلُ (سفع): يدُلُّ على السَّوادِ، وعلى تناوُلِ شَيءٍ باليَدِ.

خَاطِئَةٍ: الخاطِئُ: اسمُ فاعِلٍ مِن خَطِئَ: إذا فَعَل الخطيئةَ، وهي الإثمُ والذَّنبُ، ومَصْدَرُه: الخِطْءُ، وأصلُه: يدُلُّ على تعَدِّي الشَّيءِ، والذَّهابِ عنه.

نَادِيَهُ: أي: قَومَه وعَشيرتَه وأهلَ مَجلِسِه، يُقالُ: نَدَوْتُ القَومَ أَنْدُوهم نَدْوًا: إذا جمَعْتَهم، ويُقالُ للمَوضِعِ الَّذي يجتَمِعون فيه: النَّادِي، وأصلُ (ندو): يدُلُّ على تجَمُّعٍ.

الزَّبَانِيَةَ: أي: ملائِكةَ العَذابِ الغِلاظَ الشِّدادَ؛ مأخوذٌ مِنَ الزَّبْنِ، وهو الدَّفعُ بشِدَّةٍ، وسُمُّوا بذلك؛ لأنَّهم يَدفعونَ أهلَ النَّارِ إليها، وأصلُ (زبن): يدُلُّ على الدَّفعِ.

تفسير الآيات:

كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى (6).

أي: ما هكذا يَنبغي أن يكونَ الإنسانُ؛ أن يُنعِمَ عليه رَبُّه بخَلْقِه وتعليمِه، ثمَّ يَكفُرَ به، ويَتجاوَزَ حَدَّه، ويَستكبِرَ عليه!

سَبَبُ النُّزولِ:

عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: (قال أبو جَهلٍ: هل يُعفِّرُ محمَّدٌ وَجْهَه بيْنَ أظهُرِكم؟! فقيل: نعَمْ. فقال: واللَّاتِ والعُزَّى لئِنْ رأيتُه يفعَلُ ذلك لَأطأَنَّ على رقَبتِه، أو لأُعفِّرَنَّ وَجْهَه في التُّرابِ، فأتى رسولَ اللهِ – ﷺ – وهو يصَلِّي؛ زعَمَ لِيطَأَ على رَقَبتِه، قال: فما فَجِئَهم منه إلَّا وهو يَنكِصُ على عَقِبَيه، ويَتَّقي بيَدَيه. فقيل له: ما لَكَ؟! فقال: إنَّ بيْني وبيْنه لَخَنْدقًا مِن نارٍ وهَولًا وأجِنحةً! فقال رَسولُ اللهِ – ﷺ –: لو دنا منِّي لَاختَطَفَته الملائكةُ عُضوًا عُضوًا، فأنزل اللهُ عزَّ وجَلَّ –لا ندري في حديثِ أبي هُرَيرةَ، أو شَيءٌ بلَغَه –: كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى * إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى * أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّى * أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى * أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى * أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى [العلق: 6 – 13] –يعني: أبا جهلٍ– أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى * كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعَنْ

بِالنَّاصِيَةِ * نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ * فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ * سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ * كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ [العلق: 14 – 19]).(14)

أَنْ رَآَهُ اسْتَغْنَى (7).

أي: إنَّ مِن شأنِ الإنسانِ وطَبْعِه أن يَطغى إذا كَثُرَ مالُه، ورأى نَفْسَه غَنِيًّا بما أنعمَ اللهُ عليه، مُستَغنيًا عن غَيْرِه بذلك.

إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى (8).

أي: إنَّ إلى رَبِّك –يا محمَّدُ– المَرجِعَ والمصيرَ، فيُجازي ذلك الطَّاغيَ على أعمالِه.

أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (9) عَبْدًا إِذَا صَلَّى (10).

أي: أرأَيْتَ –يا محمَّدُ– هذا الطَّاغيَ أبا جَهلٍ الَّذي ينهى عَبدًا للهِ –وهو محمَّدٌ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ– إذا صلَّى لله سُبحانَه عِندَ الكَعْبةِ؟

أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى (11).

أي: ماذا لو كان هذا العَبدُ المَنهيُّ عن الصَّلاةِ على استقامةٍ وسَدادٍ في صلاتِه لرَبِّه؟

---

(14) رواه مسلم (2797).

أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى (12).

أي: أو كان آمِرًا بتقوى اللهِ والحَذَرِ مِن سَخَطِه وعَذابِه، وأنت تَزجُرُه وتتوعَّدُه إن صلَّى، فكيف يَجدُرُ ذلك بمَن تلك صِفتُه؟!

أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (13).

أي: أرأَيتَ- يا محمَّدُ- هذا الَّذي كذَّبَ بالحَقِّ، وأعرَضَ عن اتِّباعِه؟

أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى (14).

أي: ألم يعلَمْ بأنَّ اللهَ مُطَّلِعٌ عليه وعلى أفعالِه وأقوالِه، وسيُجازيه على ذلك؟

كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعَنْ بِالنَّاصِيَةِ (15).

أي: ليس الأمرُ كما يقولُ هذا الرَّجُلُ! وأُقسِمُ لَئِنْ لم يتوقَّفْ عن نَهيِ محمَّدٍ عن الصَّلاةِ لَنأخُذَنَّ بمُقَدَّمِ رأسِه؛ إذلالًا له.(15)

كما قال سبحانه وتعالى: يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ [الرحمن: 41].

---

(15) رجّح ابن عطية (٨/ ٦٥٤ – ٦٥٥) أنّ معنى قوله: ﴿لنسفعا﴾: لنأخذنّ.
كما جاء في أقوال السلف، وبيّن أنّ الآية على هذا نظيرها قوله تعالى: ﴿فيؤخذ بالنواصي والأقدام﴾ [الرحمن: ٤١]، ثم ذكر قولًا آخر، فقال: «وقال بعض العلماء بالتفسير: ﴿لَنَسْفَعًا﴾ معناه: لنُحْرِقَن، من قولهم: سفعتْه النار؛ إذا أحرقته».

نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (16).

أي: لَنأخُذَنَّ بتلك النَّاصيةِ الكاذِبةِ في أقوالِها، الخاطِئةِ في أفعالِها.

فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (17).

أي: فلْيَدْعُ أبو جَهلٍ أهلَ مجلِسِه مِن قَومِه وعَشيرتِه؛ لِيَستنصِرَ بهم.

عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما، قال: ((كان رَسولُ اللَّهِ - ﷺ - يُصلِّي عندَ المقامِ، فمرَّ به أبو جهلِ بنِ هشامٍ، فقال: يا محمَّدُ ألم أنهَكَ عن هذا؟ وتوعَّدَه، فأغلَظَ له رسولُ اللهِ وانتهرَه، فقال: يا محمَّدُ بأيِّ شيءٍ تُهدِّدُني؟ أما واللهِ إنِّي لأكثرُ هذا الوادي ناديًا، فأنزَل اللهُ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ * سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ، قال ابنُ عباسٍ: لو دعا ناديَه أخذتْه زبانيةُ العذابِ من ساعتِه)).(16)

سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (18).

أي: ونحن سنَدعو ملائِكةَ العَذابِ الغِلاظَ الشِّدادَ إنْ دعا أبو جَهلٍ قَومَه.

كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ (19).

---

(16) أخرجه الترمذي (3349)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (11684)، وأحمد (3044) باختلافٍ يسيرٍ، وابن جرير في ((التفسير)) (24/525) واللفظُ له قال الترمذي: (حسنٌ غريبٌ صحيحٌ).

وقال الحاكم في ((المستدرك)) (3855): (صحيحُ الإسنادِ).

وقال الألباني في ((السلسلة الصحيحة)) (275): (إسنادُه صحيحٌ على شرطِ مسلمٍ).

وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (5/167): (إسنادُه صحيحٌ).

أي: ليس الأمرُ كما يزعُمُ أبو جَهلٍ! فلا تُطِعْه في نَهْيِه لك عن الصَّلاةِ، ولا تُبالِ به، ولا تَخْشَهْ، واسجُدْ لرَبِّك في صَلاتِك واقتَرِبْ منه.

عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ رَسولَ اللهِ - ﷺ - قال: ((أقرَبُ ما يكونُ العَبدُ مِن رَبِّه وهو ساجِدٌ؛ فأكثِروا الدُّعاءَ)).(17)

* * *

---

(17) رواه مسلم (482).

تَفْسِيرُ
سُورَةِ القَدْرِ

سُورةُ القَدْرِ

سُورةُ القَدْرِ

سُمِّيت هذه السُّورةُ بسُورةِ (القَدْرِ).(18)

سُورةُ القَدْرِ مُختَلَفٌ فيها؛ فقيل: إنَّها مَكِّيَّةٌ،(19) **وقيل: مَدَنيَّةٌ.**(20)

---

(18) وَجهُ التَّسميةِ بذلك: تَكرارُ لَفظِ (القَدْرِ) فيها.

يُنظر: ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (1/ 531).

(19) ممَّن اختار أنَّها مَكِّيَّةٌ: السمرقنديُّ، وابنُ أبي زَمَنِينَ، والواحديُّ، والبغوي، والزمخشري، والرازي، والنسفي، وابن جُزَي، وابن كثير، والسعدي.

يُنظر: ((تفسير السمرقندي)) (3/ 601)، ((تفسير ابن أبي زمنين)) (5/149)، ((الوسيط)) للواحدي (4/532)، ((تفسير البغوي)) (5/283)، ((تفسير الزمخشري)) (4/780)، ((تفسير الرازي)) (32/228)، ((تفسير النسفي)) (3/665)، ((تفسير ابن جزي)) (2/499)، ((تفسير ابن كثير)) (8/441)، ((تفسير السعدي)) (ص: 931).

ونَسَبَ هذا القولَ لأكثَرِ المفَسِّرينَ وجُمهورِهم: الماوَرْديُّ، والسيوطيُّ، وابنُ عاشور.

يُنظر: ((تفسير الماوردي)) (6/311)، ((الإتقان في علوم القرآن)) للسيوطي (1/53)، ((تفسير ابن عاشور)) (30/455).

(20) وممَّن اختار أنَّها مَدَنيَّةٌ: مقاتلُ بنُ سُلَيمانَ، والزَّجَّاجُ، ومكِّيٌّ، والسمعاني، والخازن، والعُلَيمي.

يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (4/769)، ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (5/347)، ((الهداية إلى بلوغ النهاية)) لمكي (12/8365)، ((تفسير السمعاني)) (6/260)، ((تفسير الخازن)) (4/450)، ((تفسير العليمي)) (7/405).

ونَسَبَه لأكثَرِ المفَسِّرينَ: الثعلبيُّ، والخازن، وأبو حيان، والشربيني.

يُنظر: ((تفسير الثعلبي)) (10/247)، ((تفسير الخازن)) (4/450)، ((تفسير أبي حيان)) (10/513)، ((تفسير الشربيني)) (4/564).

مِن أهَمِّ مَقاصِدِ السُّورةِ:

ذِكرُ فَضائلِ لَيلةِ القَدْرِ، والتَّنْويهُ بشَأنِ القُرْآنِ الَّذي أُنزِلَ فيها.

مِن أهمِّ الموضوعاتِ الَّتي اشتَمَلَتْ عليها السُّورةُ:

1- التَّنويهُ بَشأنِ القُرآنِ، والإعلاءُ مِن قَدْرِه.

2- بيانُ فَضلِ اللَّيلةِ الَّتي نَزَل فيها، وهي لَيلةُ القَدْرِ، والتَّرْغيبُ في إحْيائِها.

* * *

سُورةُ القَدْرِ

الآيات (1–5)

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (2) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (3) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (4) سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ (5)

تفسير الآيات:

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (1).

أي: إنَّا أنزَلْنا القُرآنَ في لَيلةِ القَدْرِ مِن شَهرِ رَمَضانَ.(21)

---

(21) ذكر ابن عطية (٥/ ٥٠٤ ط: دار الكتب العلمية) في قوله: ﴿إنا أنزلناه﴾ عدة أقوال، وعلّق عليها، الأول: ذكره عن الشعبي وغيره أنّ المعنى: «إنّا ابتدأنا إنزال هذا القرآن إليك ليلة القدر».

ثم علّق قائلًا: «وقد رُوي أنّ نزول المَلك في حراء كان في العشر الأواخر من رمضان، فيستقيم هذا التأويل، وقد رُوي أنّ نزول المَلك كان في الرابع عشر من رمضان، فلا يستقيم هذا التأويل إلا على قول مَن يقول: إن ليلة القدر تستدير الشهر كلّه، ولا تختص بالعشر الأواخر.

وهو قول ضعيف، حديث النبي – ﷺ – يردّه في قوله: «فالتمِسُوها في العشر الأواخر من رمضان»».

الثاني: ذكره عن جماعة من المتأولين لم يُسمّهم أنّ المعنى: «إنّا أنزلنا هذه السورة في شأن ليلة القدر وفي فضلها».

وعلّق قائلًا: «ولما كانت السورة من القرآن جاء الضمير للقرآن تفخيمًا وتحسينًا، فقوله تعالى: ﴿في ليلة﴾ هو على نحو قول عمر بن الخطاب: لقد خشيتُ أن ينزل فِيّ قرآن ليلة نزول سورة الفتح.

ونحو قول عائشة في حديث الإفك: لأنا أحقَر في نفسي من أن ينزل فِيّ قرآن».

«وذكر ابن عباس وقتادة وغيره: أنها سُمِّيتْ ليلة القدر لأنّ الله تعالى يُقدِّر فيها الآجال والأرزاق وحوادث العالم كلّها، ويدفع ذلك إلى الملائكة لتمتثله، ولهذا ظواهر من كتاب الله – عز وجل – على نحو قوله تعالى: ﴿فيها يفرق كل أمر حكيم﴾ [الدخان: ٤]، وأمّا الصِّحّة المقطوع بها فغير موجودة».

قال ابن عطية (٨/ ٦٥٨ – ٦٥٩): «وليلة القدر مستديرة في أوتار العشر الأواخر من رمضان، هذا هو الصحيح المُعَوّل عليه، وهي في الأوتار بحسب الكمال والنقصان في الشهر، فينبغي لمرتقبها أن يرتقبها من ليلة عشرين في كلّ ليلة إلى آخر الشهر؛ لأنّ الأوتار مع كمال الشهر ليست الأوتار مع نقصانه، وقال رسول الله – ﷺ –: «لثالثة تبقى، لخامسة تبقى، لسابعة تبقى».

وقال: «التمِسُوها في الثالثة والخامسة والسابعة والتاسعة».

وقال مالك: يريد بالتاسعة ليلة إحدى وعشرين.

وقال ابن حبيب: يريد مالك إذا كان الشهر ناقصًا.

فظاهر هذا أنه – عليه السلام – احتاط في كمال شهر ونقصانه، وهذا لا تتحصل معه الليلة إلا بعمارة العشر كلّه».

كما قال تعالى: شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ [البقرة: 185].

وقال سُبحانَه: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ [الدخان: 3].

وعن عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عنها، أنَّ رَسولَ اللهِ – ﷺ – قال: ((تَحَرَّوا لَيلةَ القَدْرِ في العَشْرِ الأواخِرِ مِن رَمَضانَ)).(22)

ورجّح ابنُ كثير (١٤/ ٤١٢ – ٤١٥) –مستندًا إلى السنة– أنّ ليلة القدر تنتقل في العشر الأواخر من رمضان بقوله: «وهو الأشبه».

ثم قال: «وقد يُستأنس لهذا القول بما ثبت في الصحيحين، عن عبد الله بن عمر: أنّ رجالًا من أصحاب النبي – ﷺ – أُروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر من رمضان، فقال رسول الله – ﷺ –: «أرى رؤياكم قد تواطأتْ في السبع الأواخر، فمَن كان مُتحرّيها فليتحرَّها في السبع الأواخر»».

ونقل عن الشافعي قوله: «أنّها لا تنتقل».

ثم قال: «ويُحتجّ للشافعي أنّها لا تنتقل، وأنّها مُعيَّنة من الشهر، بما رواه البخاري في صحيحه، عن عبادة بن الصّامت قال: خرج رسول الله – ﷺ – ليُخبِرنا بليلة القدر، فتلاحى رجلان من المسلمين، فقال: «خرجتُ لأخبركم بليلة القدر، فتلاحى فلان وفلان، فرُفعتْ، وعسى أن يكون خيرًا لكم، فالتمِسُوها في التاسعة والسابعة والخامسة».

وجه الدلالة منه: أنّها لو لم تكن مُعيّنة مستمرّة التعيين لما حصل لهم العلم بعينها في كلّ سنة، إذا لو كانت تنتقل لما علموا تعيّنها إلا ذلك العام فقط، اللهم إلا أن يقال: إنه إنما خرج ليُعلِمهم بها تلك السنة فقط.

وفيها أيضًا عن عائشة – رضي الله عنها –، أنّ رسول الله – ﷺ – قال: «تَحرَّوا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان» ولفظه للبخاري».

قال ابنُ كثير: «وفيه أنّها تكون باقية إلى يوم القيامة في كلّ سنة بعد النبي – ﷺ –، لا كما زعمه بعض طوائف الشيعة مِن رفْعها بالكلّية، على ما فهموه من الحديث الذي سنورده بعد من قوله – عليه السلام –: «فرُفعتْ، وعسى أن يكون خيرًا لكم».

لأنّ المراد رفع علم وقتها عينًا.

وفيه دلالة على أن ليلة القدر يختص وقوعها بشهر رمضان من بين سائر الشهور، لا كما رُوي عن ابن مسعود ومن تابعه من علماء أهل الكوفة من أنّها توجد في جميع السنة، وتُرجى في جميع الشهور على السواء».

(22) رواه البخاري (2020)، ومسلم (1169).

وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (2).

أي: قال اللهُ تعالى مُفَخِّمًا شأنَها، ومُعَظِّمًا لها: وما الَّذي أعلَمَك –يا محمَّدُ– أيُّ شَيءٍ لَيلةُ القَدْرِ؟!

لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (3).

أي: إنَّ لَيلةَ القَدْرِ –في خَيرِها وبَرَكتِها وثَوابِ الأعمالِ فيها– أفضَلُ مِن ألْفِ شَهرٍ، ليس فيها ليلةُ القدرِ.(23)

---

(23) اختُلف في قوله: ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ على أقوال: الأول: أنّ العمل في ليلة القدر بما يرضي الله خيرٌ مِن العمل في غيرها ألف شهر.

الثاني: أنّ ليلة القدر خير من ألف شهر، ليس فيها ليلة القدر.

الثالث: أنّ قيام هذه الليلة خير من عمل ذلك الرجل المذكور خبره في نزول قوله: ﴿لَيْلَةُ القدر خَيْرٌ مِن ألْفِ شَهْرٍ﴾.

الرابع: أنّ الألف شهر هي مدة مُلك بني أُميّة بعد النبي – ﷺ –.

وقد رجّح ابنُ جرير (٢٤/ ٥٤٧) القول الثاني، فقال: «وأشبه الأقوال في ذلك بظاهر التنزيل قول مَن قال: عملٌ في ليلة القدر خير من عمل ألف شهر، ليس فيها ليلة القدر».

ولم يذكر مستندًا.

ووافقه ابنُ كثير (٨/ ٤٤٣) مستندًا إلى النظائر، فقال: «وهذا القول بأنها أفضل من عبادة ألف شهر –وليس فيها ليلة القدر– هو اختيار ابن جرير، وهو الصواب لا ما عداه، وهو كقوله – ﷺ –: «رباط ليلة في سبيل الله خير من ألف ليلة فيما سواه من المنازل».

وكما جاء في قاصد الجمعة بهيئة حسنة ونية صالحة: «أنه يُكتب له عمل سنة، أجر صيامها وقيامها» إلى غير ذلك من المعاني المشابهة لذلك».

وانتقد ابنُ جرير الأقوال الأخرى لعدم وجود دليل يشهد لها، فقال: «وأمّا الأقوال الأخر فدعاوى معانٍ باطلة، لا دلالة عليها من خبر ولا عقل، ولا هي موجودة في التنزيل».

عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، عن النَّبيِّ – ﷺ – قال: ((مَن قام لَيلةَ القَدْرِ إيمانًا واحتِسابًا غُفِرَ له ما تقَدَّمَ مِن ذَنْبِه)).(24)

تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (4).

أي: تَهبِطُ الملائكةُ وجِبريلُ مِنَ السَّماءِ إلى الأرضِ في لَيلةِ القَدْرِ بإذْنِ رَبِّهم لهم مِن كُلِّ أمرٍ مِمَّا أمَرَ اللهُ به.(25)

كما قال تعالى: فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ [الدخان: 4].

سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ (5).

أي: لَيلةُ القَدْرِ سالِمةٌ مِن كُلِّ شَرٍّ وأذًى، وذلك مِن بَعْدِ غُروبِ الشَّمسِ إلى زَمَنِ طُلوعِ الفَجْرِ.

* * *

---

(24) رواه البخاري (1901)، ومسلم (760).

(25) اختُلف في قوله: ﴿من كل أمر﴾ على قولين: الأول: أنهم ينزلون فيها بكلّ أمرٍ قدّره الله وقضاه في هذا العام.
الثاني: أنّ المعنى: أنهم لا يلقون مؤمنًا ولا مؤمنة إلا سلّموا عليه.
كما أفادته قراءة ابن عباس.

تَفْسِيرُ
سُورَةِ البَيِّنَةِ

سُورةُ البَيّنة

سُورةُ البَيِّنةِ

سُمِّيت هذه السُّورةُ بسُورةِ البَيِّنةِ.(26)

وسُمِّيت أيضًا: لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا،(27) فعن أنَسِ بنِ مالِكٍ رَضِيَ اللهُ عنه: ((أنَّ النَّبيَّ - ﷺ -قال لأُبَيِّ بنِ كَعبٍ: إنَّ اللهَ أمَرَني أن أقرَأَ عليكَ: لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا. قال: وسَمَّاني لك؟! قال: نعم. فبَكى)).(28)

---

(26) سِمّيت بذلك لوُرودِ لَفظِ البَيِّنةِ فيها، في قَولِه: حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ.

(27) سِمّيت بذلك لأنَّها أوَّلُ جُملةٍ افتُتِحَت بها.

يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (467/30).

وتُسمَّى أيضًا سورةَ لَمْ يَكُنِ وسورةَ القَيِّمةِ، وسورةَ المُنفَكِّينَ، وسورةَ البَرِيَّةِ، وسورةَ الِانْفِكاكِ.

يُنظر: ((جمال القراء وكمال الإقراء)) لعلم الدين السخاوي (ص: 93)، ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (533/1)، ((حاشية الشهاب على البيضاوي)) (384/8)، ((تفسير الألوسي)) (424/15)، ((تفسير ابن عاشور)) (467/30).

(28) أخرجه البخاري (3809)، ومسلم (799).

سُورةُ البَيِّنةِ مَدَنيَّةٌ(29) وقيل: مَكّيَّةٌ.(30)

مِن أهَمِّ مقاصِدِ السُّورةِ:

توبيخُ المشرِكينَ وأهلِ الكِتابِ على تكذيبِهم بالقرآنِ والرَّسولِ - ﷺ -، وبيانُ مآلِهم ومآلِ المؤمنينَ.

---

(29) وممَّن اختار أنَّها مَدَنيَّةٌ: مقاتلُ بنُ سُلَيْمانَ، والزَّجَّاجُ، والسمرقندي، وابن أبي زَمَنِين، والثعلبي، والماوَرْدي، والرازي، وابن جُزَي، والسيوطي، وأبو السعود، والقاسمي.

يُنظر: ((تفسير مقاتل)) (777/4)، ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (349/5)، ((تفسير السمرقندي)) (603/3)، ((تفسير ابن أبي زمنين)) (151/5)، ((تفسير الثعلبي)) (259/10)، ((تفسير الماوردي)) (315/6)، ((تفسير الرازي)) (237/32)، ((تفسير ابن جزي)) (501/2)، ((الدر المنثور)) للسيوطي (585/8)، ((تفسير أبي السعود)) (184/9)، ((تفسير القاسمي)) (520/9).

ونَسَب هذا القَولَ إلى الجُمهورِ: الماوَرْديُّ، وابنُ الجوزيِّ، والعزُّ بنُ عبدِ السَّلامِ، والقُرطبيُّ، والخازنُ، والشَّوكانيُّ.

يُنظر: ((تفسير الماوردي)) (315/6)، ((تفسير ابن الجوزي)) (4/ 475)، ((تفسير العز بن عبد السلام)) (475/3)، ((تفسير القرطبي)) (138/20)، ((تفسير الخازن)) (454/4)، ((تفسير الشوكاني)) (578/5).

(30) وممَّن اختار أنَّها مَكّيَّةٌ: المهدويُّ، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، والثعالبي، والعُلَيمي.

يُنظر: ((التحصيل)) للمهدوي (145/7)، ((تفسير البغوي)) (290/5)، ((تفسير الزمخشري)) (781/4)، ((تفسير ابن عطية)) (507/5)، ((تفسير الثعالبي)) (613/5)، ((تفسير العليمي)) (411/7).

ونَسَب هذا القَولَ إلى الجُمهورِ: ابنُ عطيَّةَ.

يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (507/5).

ذكر ابنُ عطية (٨/ ٦٦٢ بتصرف يسير) الاختلاف في مكّيّة السورة ومدنيتها، وبيّن أنّ القول بمكيتها أشهر.

وذكر (٨/ ٦٦٣ - ٦٦٤ بتصرف) عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة..﴾ [البينة: ٥]-مستندًا إلى النظائر، وأحوال النزول- أنّ القول بمدنيتها يقوّيه «كون الصلاة مع الزكاة في هذه الآية مع ذكر بني إسرائيل فيها؛ لأنّ الزكاة فُرِضتْ بالمدينة، ولأنّ النبي - ﷺ - إنما دفع لمناقضة أهل الكتاب بالمدينة».

مِن أهمِّ الموضوعاتِ الَّتي اشتَمَلَتْ عليها السُّورةُ:

1- توبيخُ أهلِ الكِتابِ والمُشرِكينَ على إصرارِهم على ضَلالِهم مِن بَعْدِ أن تبَيَّنَ لهم الحَقُّ.

2- التَّعجيبُ مِن تناقُضِ أحوالِهم، وبيانُ أنَّ كُفرَهم كان بسَببِ جُحودِهم وعِنادِهم وحَسَدِهم للنَّبيِّ - ﷺ -.

3- التَّسجيلُ عليهم بأنَّهم شَرُّ البَرِيَّةِ، وأنَّ المؤمنينَ هم خَيرُ البَرِيَّةِ.

4- الثَّناءُ على الَّذين آمَنوا وعَمِلوا الصَّالِحاتِ، وذِكرُ جزائِهم في الآخِرةِ.

سُورةُ البَيِّنةِ

الآيات (1–5)

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (1) رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً (2) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (3) وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ (4) وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (5)

غريب الكلمات:

مُنْفَكِّينَ: أي: زائِلينَ عن كُفْرِهم، والانفِكاكُ: الانفِصالُ والبَينونةُ مِنَ الشَّيءِ بَعْدَ الملابَسةِ والاجتِماعِ، وأصلُ **(فكك)**: يدُلُّ على تفتُّحٍ وانفِراجٍ.

الْبَيِّنَةُ: أي: محمَّدٌ رَسولُ اللهِ - ﷺ -. والبَيِّنةُ: الحُجَّةُ الظَّاهِرةُ الَّتي يَتمَيَّزُ بها الحَقُّ مِنَ الباطِلِ، وأصلُ **(بين)**: يدُلُّ على انكِشافِ الشَّيءِ.

قَيِّمَةٌ: أي: مُستَقيمةٌ صادِقةٌ عادِلةٌ، وأصلُ **(قوم)**: يدُلُّ على انتِصابٍ.

حُنَفَاءَ: أي: مُسلِمينَ مائِلينَ عن العقائِدِ الزَّائِغةِ، جمعُ حَنيفٍ: وهو المائِلُ عن الدِّينِ الباطِلِ إلى الدِّينِ الحَقِّ، المُقبِلُ على اللهِ، المُعرِضُ عمَّا سِواه، وأصلُ الحنَفِ: المَيلُ عن الشَّيءِ بالإقبالِ على آخَرَ، وأصْلُه مَيلٌ في إبهامَي القَدمَينِ مِن كلِّ واحدةٍ على صاحِبَتِها، وأصلُ **(حنف)**: يدُلُّ على المَيلِ.

* * *

تفسير الآيات:

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (1)﴾.

أي: لم يكُنِ الكُفَّارُ مِنَ اليَهودِ، والنَّصارى، والمُشرِكينَ عَبدةِ الأوثانِ والأصنامِ: بتارِكينَ لدينِهم مِن قَبلِ أن تأتيَهم علامةٌ واضِحةٌ مِن رَبِّهم تَدُلُّهم على الحَقِّ.[31]

---

[31] قال ابنُ عطية (٨/ ٦٦٢) «قوله تعالى: ﴿منفكين﴾ معناه: منفصلين متفرِّقين، تقول: انفك الشيء عن الشيء؛ إذا انفصل عنه، و» ما انفك «التي هي من أخوات» كان «لا مدخل لها في هذه الآية».

وبنحوه قال ابنُ جرير (٢٤/ ٥٥٢).

وقد أفادت الآثار أنّ المعنى: لم يكن الكفار من أهل التوراة والإنجيل والمشركون من عبدة الأوثان مُنتَهين عما هم فيه من الكفر والضلال حتى تأتيهم البينة.

وقد ذكر ابنُ جرير (٢٤/ ٥٥١) هذا المعنى، ثم قال: «وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل».

ثم أورد الآثار الواردة هنا، ولم ينسب للسلف غيره.

ووجَّه ابنُ عطية الفعل في ﴿تأتيهم البينة﴾ أنه من إيقاع المستقبل موقع الماضي «لأنّ باقي الشريعة وعظمها لم يرد بعد».

وذكر ابنُ جرير (٢٤/ ٥٥٢) قولًا ثانيًا، وأبهم قائليه، وهو أنّ المعنى: أنّ أهل الكتاب -وهم المشركون- لم يكونوا تاركين صفة محمد في كتابهم، حتى بُعث، فلما بُعث تفرّقوا فيه.

ورجّحه مستندًا إلى السياق، فقال: «وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال: معنى ذلك: لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين مفترقين في أمر محمد حتى تأتيهم البينةُ، -وهي إرسال الله إياه رسولًا إلى خَلْقه- رسولٌ من الله...، واسْتُؤْنِفَ قولُه: ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ﴾ وهي نَكِرَةٌ على البَيِّنَة، وهي معرفَةٌ، كما قيل: ﴿ذُو العَرْشِ المَجِيدُ فَعّالٌ﴾ [البروج: ١٦]، فقال: حتّى يَأْتيهم بَيانُ أمْر محمد أنّه رسول الله، بِبَعْثه اللهُ إيّاه إلَيهم، ثُمَّ تَرْجَمَ عَنِ البَيِّنَةِ، فقال: تلك البَيِّنَة ﴿رَسُولٌ مِنَ اللهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾».

وذكر ابنُ عطية (٨/ ٦٦٢ - ٦٦٣) القولين، ثم بيّن احتمال الآية قولًا ثالثًا، فقال: «ويتجه في معنى الآية قول ثالث بارع المعنى، وذلك أن يكون المراد: لم يكن هؤلاء القوم مُنفكِّين من أمر الله تعالى وقدرته ونظره لهم حتى يَبعث إليهم رسولًا منذرًا تقوم عليهم به الحجة، وتتم على مَن آمن النعمة.

فكأنه قال: ما كانوا ليُتركوا سُدًى.

ولهذا نظائر في كتاب الله تعالى».

وذكر ابنُ تيمية (٧/ ١٥٠) الأقوال الثلاثة وأطال، فبيَّن أنّ القول الأول أشـــهر عند المفســـرين، وأنه أفاد أنّ الكفار من أهل الكتاب والمشـركين لم يكونوا ليؤمنوا حتى يتبين لهم الحق بمجيء البينة، وهذا يتضمّن مدْحهم والثناء عليهم بعد مجيء البينة:

«ولهذا احتاج مَن قاله إلى أن يقول: هذا فيمن آمن من الفريقين في أنه بيان لنعمة الله عليهم.

وجعلوا قوله: ﴿وما تفرق الذين أوتوا الكتاب﴾ [البينة: ٤] فيمن لم يؤمن منهم بمحمد - ﷺ -».

وانتقد ابنُ تيمية (٧/ ١٥٤ - ١٥٦) هذا القول -مســتندًا إلى القرآن، والســنة، والواقع- «وذلك أنه معلوم بالتواتر أنّ أهل الكتاب اختلفوا وتفرقوا قبل إرسال محمد - ﷺ -، بل اليهود افترقوا قبل مجيء المسيح، ثم لما جاء المسيح اختلفوا فيه، ثم اختلف النصـــارى اختلافًا آخر، فكيف يقال: إنّ قوله: ﴿وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة﴾ [البينة: ٤] هو فيمن لم يؤمن بمحمد منهم؟!».

وذكر كثيرًا من الآيات والأحاديث الدالة على تفرّق أهل الكتاب واختلافهم قبل مبعث النبي - ﷺ - من نحو قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا بني إســرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضــلناهم على العالمين وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم إن ربك يقضــي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون﴾ [الجاثية: ١٦ - ١٨]، ومن نحو قوله - ﷺ -: «تفرّقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة...» الحديث.

وذكر أيضًـــا أنّ الذين كفروا بمحمد - ﷺ - كفار، وأنهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة﴾، وهم تفرّقوا واختلفوا فيما جاءت به الأنبياء قبل محمد - ﷺ -، وكفَرَ مَن كَفَرَ منهم قبل إرســـال محمد - ﷺ -، وكان منهم من لم يكفر بل كان مؤمنًا بالأنبياء كما قال تعالى: ﴿ومن قوم موســـى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ [الأعراف: ١٥٩]، ﴿وقطعناهم في الأرض أمما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك﴾ [الأعراف: ١٦٨]، وقال تعالى: ﴿ليســوا ســواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يســجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين﴾ [آل عمران: ١١٣ - ١١٤].

وانتقد (٧/ ١٥٣) كذلك القول الثاني -مستندًا إلى أحوال النزول، واللغة، والدلالة العقلية- وذلك أنه «معلوم أنّ المشركين لم يكونوا يعرفونه - ﷺ - ويذكرونه ويجدونه في كتبهم كما كان ذلك عند أهل الكتاب، ولا كانوا قبل مبْعثه على دين واحد متّفقين عليه فلما جاء تفرّقوا...، ولا يســـتقيم هذا أيضًـــا في أهل الكتاب، فإنّ الله إنما ذكر الكفار منهم، فقال: ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشـــركين﴾، ومعلوم أنّ الذين كانوا يعرفون نبوته ويُقِرُّون به ويذكرونه قبل أن يُبعث لم يكونوا كلّهم كفارًا، بل كان الإيمان أغلب عليهم.

يبيّن هذا أنه إذا ذكر تفرق الذين أوتوا الكتاب من بعد ما جاءتهم البينة فإنه يعمّهم، فيقول: ﴿وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة﴾ [البينة: ٤].

وأنه لا يقول: كان الكفار من أهل الكتاب متّفقين على الحق حتى جاءتهم البينة.

وأيضًـا فتسـمية الافتراق والاختلاف انفكاكًا لا يُعرَف في اللغة، وأيضًـا فهو لم يذكر لـــ ﴿منفكين﴾ خبرًا كما يقال: ما انفكوا يذكرون محمدًا، وما زالوا يؤمنون به ونحو ذلك.

وهذه التي هي من أخوات» كان «لا يقال فيها: ما كنت منفكًّا.

بل يقال: ما انفككت أفعل كذا.

فهو يلي حرف» ما".

وأيضًا فليس في اللفظ ما يدل على أنّ الانفكاك عن أمر محمد - ﷺ - خاصة.

وأيضًا فهذا المعنى مذكور في قوله: ﴿وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم البينة﴾ [البينة: ٤]، فلو أريد بهذه لكان تكريرًا محضًا.

ورجّح (٧/ ١٥٧ - ١٦٤) بعد ذلك -مستندًا إلى اللغة، والنظائر، والدلالة العقلية- القول الثالث الذي ذكره ابن عطية، وذكر أنه أصح الأقوال لفظًا ومعنًى، وأنّ معنى الآية عليه: أنّ الله ما يخلِّيهم ولا يتركهم، فهو لا يفكّهم حتى يبعث إليهم رسولًا.

وهذا كقوله: ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى﴾ [القيامة: ٣٦] لا يؤمر ولا ينهى.

أي: أيظن أنّ هذا يكون؟! هذا ما لا يكون ألبتة؛ بل لابد أن يؤمر ويُنهى.

وقريب من ذلك قوله تعالى: ﴿إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين﴾ [الزخرف: ٣ - ٥]، وهذا استفهام إنكار، أي: لأجل إسرافكم نترك إنزال الذكر ونُعرض عن إرسال الرسل؟! واستدل لترجيحه بعدة مرجّحات، منها دلالة لفظ الانفكاك، فإنه مستعمل فيما يُلزَم به الإنسان ويُقهَر عليه إذا تخلّص منه، يقال: انفك منه كالأسير والرقيق المقهور بالرق والأسر...

ويقال: فلان ما يفكّ فلانًا حتى يوقعه في كذا وكذا، والمتولي لا يفكّ هذا حتى يفعل كذا، يقال لمن لزم غيره واستولى عليه إما بقدرة وقهر، وإما بتحسين وتزيين وأسباب حتى يصير بها مطيعًا له.

يقال للمستولى عليه: هو ما ينفكّ من هذا كما لا ينفكّ الأسير والرقيق من المستولى عليه.

فقوله: ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين﴾ أي: لم يكونوا متروكين باختيار أنفسهم يفعلون ما يهوونه، لا حَجْر عليهم، كما أنّ المنفكّ لا حَجْر عليه.

وهو لم يقل «مفكوكين» بل قال: ﴿منفكين﴾، وهذا أحسن؛ فإنه نفي لفعلهم، ولو قال: «مفكوكين» كان التقدير: لم يكونوا مُسيَّبين مُخلّين فهو نفي لفعل غيرهم.

والمقصود: أنهم لم يكونوا متروكين لا يؤمرون ولا ينهون، ولا ترسل إليهم رسل، بل يفعلون ما شاؤوا مما تهواه الأنفس.

ومن المرجّحات أيضًا: أنّ «حتى» حرف غاية، وما بعد الغاية يخالف ما قبلها، كما في قوله تعالى: ﴿حتى تنكح زوجا غيره﴾ [البقرة: ٢٣٠] ونظائر ذلك، فلو أريد أنهم لم يكونوا مُنتَهين ويؤمنون حتى يتبيّن لهم الحق لزم أن يكونوا كلهم بعد مجيء البيّنة قد انتهوا وآمنوا؛ فإنّ اللفظ عام فيهم.

وكذلك لو كان المراد أنهم كانوا متّفقين على تصديق الرسول حتى بُعث لزم أن يكونوا كلّهم كانوا يعرفونه قبل إرساله إليهم، وأنهم كلّهم بعد إرساله تفرّقوا واختلفوا.

كما قال تعالى: وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى * وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى [طه: 133-134].

رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً (2).

أي: وتلك البَيِّنةُ هي رَسولٌ مِنَ اللهِ -وهو مُحمَّدٌ - ﷺ - يَقرأُ عليهم القُرآنَ المكتوبَ في صُحُفٍ مُنَزَّهةٍ عن كُلِّ سُوءٍ.

فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (3).

أي: في تلك الصُّحُفِ كُتُبٌ مُستقيمةٌ ليس فيها خَطَأٌ؛ لأنَّها مِن عِندِ اللهِ تعالى.

وكلاهما باطل؛ فكثير منهم أُمِّيُّون لا يعلمون الكتاب إلا أماني، ولم يكونوا يعرفون ما في الكتب من بعْثه ومن أمور أُخَر، ولما بُعث فقد آمن به خَلْق كثير منهم، ولم يتفرقوا كلّهم عن الإيمان به، وحينئذ فالآية لم تتضمّن مدحهم مطلقًا كما ظن من ظن أن معناها: أنهم لم ينتهوا ولم يؤمنوا حتى يتبيّن لهم الحق.

ولا تتضمّن ذمهم مطلقًا كما ظن من ظن أنهم لما جاءهم الرسول تفرّقوا واختلفوا بعد ما كانوا متّفقين على التصديق؛ بل تضمنّتْ مدح مَن آمن منهم بالرسول، وذم مَن لم يؤمن، والإخبار أنه لابد من إرسال الرسول إليهم فيؤمن به بعضهم، ويكفر بعض، قال تعالى: ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد﴾ [البقرة: ٢٥٣].

ثم بيّن أنّ الآية يمكن أن تتضمّن بعد ذلك القول الأول، فقال: «إذا قيل: إنّ الآية تتضمّن بعد ذلك المعنى الآخر، وهو أنهم لم يكونوا ليهتدوا ويعرفوا الحق ويؤمنوا حتى تأتيهم البيّنة، إذ لا طريق لهم إلى معرفة الحق إلا برسول يأتي من الله أيضًا؛ أولم يكونوا مُنتَهين مُتَّعظين وإنْ عرفوا الحق حتى يأتيهم من الله مَن يُذكرهم؛ فهذا المعنى لا يناقض ذاك».

وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ (4).

أي: وما تفرَّق اليَهودُ والنَّصارى في شأنِ محمَّدٍ – ﷺ – فكَذَّبوا به إلَّا بعْدَما بعَثَه اللهُ، فتفرَّقوا فيه؛ فكَذَّب به بعضُهم، وآمَنَ بَعضُهم، وقد كانوا قبْلَ مَبعَثِه مُتَّفِقينَ على نُبوَّتِه وتَصديقِه!

قال تعالى: وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ [آل عمران: 105].

وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (5).

وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ.

أي: وما أَمَر اللهُ اليَهودَ والنَّصارى إلَّا بعِبادتِه مُفْرِدينَ له الطَّاعةَ، لا يُشارِكونَ في عبادَتِه معَه غيرَه.

كما قال الله تعالى: وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ [النحل: 36].

وقال سُبحانَه: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ [الأنبياء: 25].

وقال عزَّ وجلَّ: قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ [الزمر: 11].

حُنَفَاءَ.

أي: مائِلينَ ومُعرِضينَ عن الشِّركِ إلى التَّوحيدِ، مُستَقيمينَ على دينِ الإسلامِ.

قال تعالى: قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ [الأنعام: 161 – 163].

وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ.

أي: وأُمِروا بإقامةِ الصَّلواتِ بحُدودِها وشُروطِها وأركانِها في أوقاتِها.

وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ.

أي: وأُمِروا بإيتاءِ الزَّكاةِ إلى أهلِها المُستَحِقِّينَ لها.

وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ.

أي: وذلك الَّذي أُمِروا به مِنَ التَّوحيدِ وإقامةِ الصَّلاةِ وإيتاءِ الزَّكاةِ: هو دينُ الإسلامِ المُستقيمُ العادِلُ.

قال تعالى: فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ [الروم: 30–31].

سُورةُ البَيّنةِ

الآيات (6–8)

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (6) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (7) جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (8)

غريب الكلمات:

الْبَرِيَّةِ: أي: الخَلْقِ، مأخوذٌ مِن بَرَأَ اللهُ الخَلْقَ، أي: خلَقَهم، وأصلُ (برأ) هنا: يدُلُّ على خَلْقٍ.

عَدْنٍ: أي: إقامةٍ وخُلدٍ، واستقرارٍ وثَباتٍ، وأصلُ (عدن): يدُلُّ على الإقامةِ.

* * *

تفسير الآيات:

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (6).

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا.

أي: إنَّ الكُفَّارَ مِن اليَهودِ، والنَّصارى، والمُشرِكينَ باللهِ: في نارِ جَهنَّمَ يومَ القيامةِ، ماكِثينَ فيها أبَدًا.

أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ.

أي: أولئك الكُفَّارُ مِنَ اليَهودِ والنَّصارى والمُشرِكينَ هم شَرُّ الخَليقةِ الَّتي خَلقَها اللهُ.

قال الله سبحانه وتعالى: إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ [الأنفال: 55].

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (7).

أي: إنَّ الَّذين آمَنوا باللهِ ورَسولِه، وعَمِلوا الأعمالَ الصَّالِحاتِ: أولئك هم خَيرُ الخَليقةِ الَّتي خلقَها اللهُ تعالى.(32)

---

(32) قال ابنُ جرير (٢٤/ ٥٥٦): «وقوله: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية﴾ يقول -تعالى ذِكْره-: ﴿إن الذين آمنوا﴾ بالله ورسوله محمد، وعبدوا الله ﴿مخلصين له الدين حنفاء﴾، وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، وأطاعوا الله فيما أمر ونهى؛ ﴿أولئك هم خير البرية﴾ يقول: مَن فعل ذلك من الناس فهم خير البَرِيّة».

ثم ذكر قول محمد بن علي، ولم يعلِّق عليه.

جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (8).

جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ.

عن عبد الله بن عباس، قال: لما نزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ قال رسول الله – ﷺ – لِعَلي: «هو أنتَ وشيعتك يوم القيامة، راضين مرضيّين»

عزاه السيوطي إلى ابن مردويه.

وعزا أيضا إليه حديث عَلِيٍّ أن الرسول – ﷺ – قال له: «ألم تسمع قول الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾؟ أنتَ وشيعتك، وموعدي وموعدكم الحوض إذا جئت الأمم للحساب، تُدعَون غُرًّا مُحجّلين».

انتقد ابنُ تيمية في منهاج السنة النبوية (٧/ ٢٥٩ – ٢٦٤) حديث ابن عباس –مستندًا إلى الإجماع، والأدلة العقلية– فقال – بتصرف–: «والجواب من وجوه: أحدها: المطالبة بصحة النقل، وإن كنا غير مرتابين في كذب ذلك، لكن مطالبة المدعي بصحة النقل لا يأباه إلا معاند.

الثاني: أن هذا مما هو كذب موضوع باتفاق العلماء وأهل المعرفة بالمنقولات....

الوجه الرابع: أن يقال: قوله: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ عامٌّ في كل مَن اتصف بذلك، فما الذي أوجب تخصيصه بالشيعة؟ فإن قيل: لأن من سواهم كافر؛ قيل: إن ثبت كفر مَن سواهم دليل، كان ذلك مغنيًا لكم عن هذا التطويل، وإن لم يثبت لم ينفعكم هذا الدليل، فإنه من جهة النقل لا يثبت، فإن أمكن إثباته بدليل منفصل فذاك هو الذي يُعتمد عليه لا هذه الآية.

الوجه الخامس: أن يقال: مِن المعلوم المتواتر أن ابن عباس كان يوالي غير شيعة علي أكثر مما يوالي كثيرًا من الشيعة، حتى الخوارج كان يجالسهم ويفتيهم ويناظرهم.

فلو اعتقد أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم الشيعة فقط، وأن من سواهم كفار، لم يعمل مثل هذا...

الوجه السادس: أنه قال قبل ذلك: ﴿إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية﴾، ثم قال: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية﴾.

وهذا يبين أن هؤلاء من سوى المشركين وأهل الكتاب.

وفي القرآن مواضع كثيرة ذُكر فيها الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وكلها عامة.

فما الموجب لتخصيص هذه الآية دون نظائرها؟...».

أي: ثَوابُ الَّذين آمَنوا وعَمِلوا الصَّـــالِحاتِ في الآخِرةِ عِندَ رَبِّهم: جنَّاتُ إقامةٍ دائِمةٍ لا تَحوُّلَ عنها، تجري الأنهارُ مِن تحتِ قصورِها وأشجارِها بلا انقِطاعٍ.

خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا.

أي: ماكِثينَ في الجنَّةِ أبدًا، يتنعَّمونَ في كُلِّ وَقتٍ بلا موتٍ ولا خروجٍ.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ.

أي: رَضِيَ اللهُ عنهم؛ بسَبَبِ إيمانِهم وطاعتِهم له، ورَضُوا هم عن اللهِ؛ لِمَا آتاهم مِن النَّعيمِ.

ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ.

أي: ذلك الثَّوابُ الكريمُ والنَّعيمُ العَظيمُ يكونُ لِمَن خاف اللهَ في الدُّنيا وعَظَّمَه؛ فامتَثَل أوامِرَه، واجتَنَب نواهِيَه.

قال تعالى: وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ * هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ * مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ [ق: 31 – 33].

* * *

تَفْسِيرُ
سُورَةِ الزَّلْزَلَةِ

سُورةُ الزَّلْزَلةِ

سُورةُ الزَّلْزَلةِ

سُمِّيَت هذه السُّورةُ بسُورةِ الزَّلْزَلةِ.(33) وسُمِّيتْ أيضًا بسورةِ إِذَا زُلْزِلَتِ.(34)

سُورةُ الزَّلزلةِ مُختَلَفٌ فيها؛ فقيل: مَكِّيَّةٌ.(35) وقيل: مَدَنيَّةٌ.(36)

---

(33) وَجهُ التَّسميةِ بذلك: ذِكرُ لَفظِ الزَّلْزلةِ فيها، في قَولِه: إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا، وهي تسميةٌ بالمعنى لا بحِكايةِ بَعضِ كَلِماتِها.

يُنظر: ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (535/1)، ((تفسير ابن عاشور)) (489/30).

(34) قال ابنُ عاشور: (سُمِّيَتْ هذه السُّورةُ في كَلامِ الصَّحابةِ سورةَ: إِذَا زُلْزِلَتِ...

وكذلك عَنوَنَها البُخاريُّ والتِّرمذيُّ).

((تفسير ابن عاشور)) (489/30).

وذكَر أيضًا مِن أسمائِها: سورةَ (الزلزالِ)، وسورةَ (زُلزلت).

يُنظر: ((المصدر السابق)).

(35) ممَّن اختار أنَّها مَكِّيَّةٌ: مقاتلُ بنُ سُلَيمانَ، ومكِّيٌّ، والبغويُّ، والرازي، والخازن، وابن كثير.

يُنظر: ((تفسير مقاتل)) (787/4)، ((الهداية إلى بلوغ النهاية)) لمكي (8389/12)، ((تفسير البغوي)) (292/5)، ((تفسير الرازي)) (253/32)، ((تفسير الخازن)) (458/4)، ((تفسير ابن كثير)) (459/8).

(36) وممَّن اختار أنَّها مَدَنيَّةٌ: الزَّجَّاجُ، والسمرقنديُّ، وابنُ أبي زَمَنِين، والواحديُّ، والزمخشري، وابن جُزَي، والشربيني، وأبو السعود.

يُنظر: ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (351/5)، ((تفسير السمرقندي)) (606/3)، ((تفسير ابن أبي زمنين)) (153/5)، ((الوسيط)) للواحدي (541/4)، ((تفسير الزمخشري)) (783/4)، ((تفسير ابن جزي)) (503/2)، ((تفسير الشربيني)) (573/4)، ((تفسير أبي السعود)) (188/9).

ونسَبَ ابنُ الجَوزيِّ هذا القولَ للجمهورِ.

مِن أهَمِّ مقاصِدِ السُّورةِ:

إثْباتُ البعْثِ وما في يومِ القيامةِ مِن أهوالٍ، والجزاءِ على الأعمالِ مِن خَيرٍ أو شَرٍّ.

مِن أهمِّ الموضوعاتِ الَّتي اشتَمَلَتْ عليها السُّورةُ:

1- ذِكرُ يومِ القيامةِ، وما اشتَمَل عليه مِن أهوالٍ.

2- التَّأكيدُ على أنَّ كُلَّ إنسانٍ سيُجازى على حَسَبِ عَمَلِه في الدُّنيا مِن خَيرٍ أو شَرٍّ.

* * *

يُنظر: ((تفسير ابن الجوزي)) (4/477).

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

الآيات (1–8)

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (1) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (2) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (3)
يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (4) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا (5) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ
(6) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8)

غريب الكلمات:

زُلْزِلَتِ: أي: حُرِّكَتْ حَرَكَةً شَدِيدةً، ورَجَفَتْ واهْتَزَّتْ، والزِّلْزالُ هو التَّحْرِيكُ الشَّدِيدُ.

أَثْقَالَهَا: أي: مَوتاها، وأصلُ (ثقل): يدُلُّ على ضِدِّ الخِفَّةِ.

يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا: أي: يَرجِعونَ عن مَوقِفِ الحِسابِ فِرَقًا؛ لِيَنزِلوا منازِلَهم مِن الجنَّةِ والنَّارِ، ومفردُ أشتاتٍ: شَتٌّ، وأصلُ (صدر): يدُلُّ على خِلافِ الوِرْدِ، وأصلُ (شتت): يدُلُّ على تَفرُّقٍ.

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ: أي: زِنَةَ نَملةٍ صَغيرةٍ. وقِيلَ: الذَّرُّ: ما يُرى في شُعاعِ الشَّمسِ مِنَ الهباءِ، وأصلُ (ثقل): يدُلُّ على ضِدِّ الخِفَّةِ، وأصلُ (ذرر): يدُلُّ على لَطافةٍ وانتِشارٍ.

* * *

تفسير الآيات:

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (1).

أي: إذا حُرِّكَت الأرضُ يومَ القيامةِ تحريكَها الشَّديدَ، واضطَرَبت اضطِرابَها العَظيمَ.

وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (2).

أي: وأخرَجَت الأرضُ ما في بَطْنِها مِن الأمواتِ، فيَبعَثُهم اللهُ أحياءً للحِسابِ والجَزاءِ.

كما قال تعالى: وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ [الانشقاق: 3–4].

وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (3).

أي: ويَقولُ الإنسانُ حينَئذٍ: أيُّ شَيءٍ عرَض للأرضِ، وما الَّذي حدَث، وما شأنُها؟!

يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (4).

أي: في ذلك اليَومِ تتكَلَّمُ الأرضُ بما فعَل النَّاسُ على ظَهْرِها مِن خَيرٍ أو شَرٍّ، فتَشهَدُ عليهم بأعمالِهم.

بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا (5).

أي: تُحدِّثُ الأرضُ أخبارَها؛ بسَبَبِ وَحْيِ اللهِ إليها، وإذْنِه لها بذلك.

يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (6).

أي: في ذلك اليَومِ يَنصَرِفُ النَّاسُ عن مَوقِفِ الحِسابِ فِرَقًا كثيرةً؛ ليرى كُلُّ واحدٍ منهم عمَلَه الَّذي عَمِل، وجزاءَه عليه مِن الثَّوابِ في الجنَّةِ، أو العِقابِ في النَّارِ.(37)

كما قال تبارك وتعالى: وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ * فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ [الروم: 14 – 16].

---

(37) قال ابنُ عطية (٨/ ٦٦٨ – ٦٦٩): «وقوله تعالى: ﴿ليروا أعمالهم﴾ إمّا أن يكون معناه: جزاء أعمالهم يراه أهل الجنة من نعيم وأهل النار بالعذاب، وإمّا أن يكون قوله تعالى: ﴿ليروا أعمالهم﴾ متعلقًا بقوله: ﴿بأن ربك أوحى لها﴾، ويكون قوله: ﴿يومئذ يصدر الناس أشتاتا﴾ اعتراضًا بين أثناء الكلام».

بيّن ابن جرير (٢٤/ ٥٦٢) أنّ جميع الناس مؤمنهم وكافرهم يرون جزاء أعمالهم في الآخرة، فأمّا المؤمن فيغفر الله سيئاته وأمّا الكافر فيَرَدّ حسناته ويُعذَّب بسيئاته.

ثم ذكر قول مَن قال: إنّ المؤمن يُعجّل له عقوبة سيئاته في الدنيا، ويُؤخّر له ثواب حسناته، والكافر يُعجّل له ثواب حسناته، ويُؤخّر له عقوبة سيئاته.

ولم يعلّق عليه.

وقال ابنُ عطية (٨/ ٦٦٩): «وقال بعض الناس وبعض المفسرين: رؤية هذه الأعمال هي في الآخرة، وذلك لازم من لفظ السورة وسردها، فيرى الخير كلّه مَن كان مؤمنًا، والكافر لا يرى في الآخرة خيرًا؛ لأنّ خيره قد عُجِّل له في الدنيا، وكذلك المؤمن أيضًا تُعجّل له سيئاته الصغار في دنياه في المصائب والأمراض ونحوها، فيجيء من مجموع هذا أنّ مَن عمل من المؤمنين مِثقال ذرّة من خير أو شرّ رآه، ويخرج من ذلك أن لا يرى الكافر خيرًا في الآخرة.

ومنه حديث عائشة – رضي الله عنها –، قالت: قلتُ: يا رسول الله، أرأيت ما كان عبد الله بن جدعان يفعله من البِرّ وصِلة الرَّحِم وإطعام الطعام، أله في ذلك أجر؟ قال: «لا، إنه لم يقل قطّ: ربّ، اغفر لي خطيئتي يوم الدين»».

فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7).

أي: فمَن يعمَلْ في الدُّنيا خيرًا ولو كان بمِقْدارِ وَزنِ ذَرَّةٍ، فإنَّه سيَراه ويجِدُ ثَوابَه في الآخِرةِ.

كما قال الله سبحانه وتعالى: يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا [آل عمران: 30].

وقال سُبحانَه وتعالى: إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا [النساء: 40].

وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((سُئِلَ النَّبيُّ - ﷺ - عن الحُمُرِ، فقال: ما أُنزِلَ علَيَّ فيها إلَّا هذه الآيةُ الجامِعةُ الفاذَّةُ:(38) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ)).(39)

وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8).

أي: ومَن يعمَلْ في الدُّنيا شَرًّا ولو كان بمِقْدارِ وَزنِ ذَرَّةٍ، فإنَّه سيَراه ويجِدُ جزاءَه في الآخِرةِ.

قال الله سُبحانَه وتعالى: لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ [النساء: 123].

---

(38) الفَاذَّةُ: أي: المُنْفَرِدةُ في معناها.

يُنظر: ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (4/1266).

(39) رواه البخاري (3646)، ومسلم (987).

تَفْسِيرُ

سُورَةِ العادِياتِ

سُورةُ العادِياتِ

سُورةُ العادِياتِ

سُمِّيَت هذه السُّورةُ بسُورةِ (العادِيات).(40)

سُورةُ العادِياتِ مكِّيَّةٌ،(41) وحُكِيَ الإجماعُ على ذلك.(42)

---

(40) سُمِّيت هذه السُّورةُ بذلك؛ لافتِتاحِها بقولِه: وَالْعَادِيَاتِ.

يُنظر: ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (537/1).

قال ابنُ عاشورٍ: (وسُمِّيَت في بَعضِ كُتُبِ التَّفسيرِ سُورةَ «والعادياتِ» بإثباتِ الواوِ).

((تفسير ابن عاشور)) (497/30).

(41) ونسَب القولَ بأنَّها مكِّيَّةٌ إلى الجمهورِ: ابنُ عاشور.

يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (527/30).

وقيل: مَدَنيَّةٌ.

يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (786/4)، ((الإتقان في علوم القرآن)) للسيوطي (54/1)، ((تفسير ابن عاشور)) (497/30).

(42) ممَّن نقَل الإجماعَ على ذلك: البِقاعيُّ.

يُنظر: ((مصاعد النظر)) للبقاعي (237/3).

ذكر ابن تيمية (٧/ ١٧٠) خلافًا في نزول السورة على قولين: الأول: أنها نزلت بمكة.

الثاني: أنها نزلت بالمدينة، حكاه عن ابن عباس –كماسيأتي في نزول السورة–، وقتادة.

وعلّق على القول الثاني بقوله: «وهذا القول يناسب قول مَن فسّر: ﴿والعاديات﴾ بخَيْل المجاهدين».

مِن أهَمِّ مقاصِدِ هذه السُّورةِ:

بَيانُ ما جُبِلَ عليه الإنسانُ، وحَثُّه على أن يتزَوَّدَ بالعمَلِ الصَّالحِ.

مِن أهمِّ الموضوعاتِ الَّتي اشتَمَلَتْ عليها هذه السُّورةُ:

1- القَسَمُ بالخَيلِ، والتَّنويهُ بشَأنِ الجِهادِ والمُجاهِدينَ.

2- ذِكْرُ كُفرانِ الإنسانِ، وبَيانُ ما جُبِلَ عليه مِن شِدَّةِ مَحبَّةِ المالِ، والحِرصِ عليه.

3- وَعظُ النَّاسِ بأنَّ وَراءَهم حِسابًا بعدَ الموتِ؛ تَحريضًا على التَّزوُّدِ بالعملِ الصَّالحِ.

* * *

سُورةُ العادِياتِ

الآيات (1–11)

وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (1) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (2) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (3) فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا (4)
فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا (5) إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (6) وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ (7) وَإِنَّهُ لِحُبِّ
الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (8) أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ (9) وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ (10) إِنَّ
رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ (11)

غريب الكلمات:

وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا: أي: الخَيلِ العادِيَةِ في سَبيلِ اللهِ عزَّ وجَلَّ تَضبَحُ، والعَدْوُ: السَّيرُ بسُرْعةٍ، والضَّبْحُ: صَوتُ أجوافِها إذا عَدَتْ، وهو النَّفَسُ، وأصلُ (عدو): يدُلُّ على تجاوُزٍ في الشَّيءِ، وأصلُ (ضبح): يدُلُّ على صَوتٍ.

فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا: أي: الخَيلِ تُورِي النَّارَ بحوافِرِها إذا وقَعَت على الحِجارةِ، يُقالُ: وَرَى الزَّندُ: إذا خرَجَت نارُه، والإيراءُ: إخراجُ النَّارِ، والقَدْحُ هو الضَّربُ والصَّكُّ.

فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا: أي: الخَيلِ الَّتي تُغيرُ على العَدُوِّ عندَ الصَّباحِ، يُقالُ: أغارَ على العَدُوِّ: هَجَم عليهم دِيارَهم، وأوْقَع بهم، وأغارَ الفرَسُ: إذا أسْرَعَ في العَدْوِ، وأصلُ (غور) هنا: يدُلُّ على إقدامٍ على أخذِ مالٍ قَهرًا أو حَربًا.

فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا: أي: الخَيلُ تُثيرُ الغُبارَ بحوافِرِها بمكانِ عَدْوِها، يُقالُ: ثارَ الغُبارُ والدُّخانُ: إذا ارتفَعَ، وأصلُ (ثور): يدُلُّ على انبِعاثِ الشَّيءِ، والنَّقْعُ: الغُبارُ السَّاطِعُ المُثارُ.

لَكَنُودٌ: أي: لَكَفورٌ جَحودٌ؛ مِن كَنَد النِّعمةَ: أي: كَفَرها ولم يَشكُرْها، وأصلُ (كند): يدُلُّ على القَطعِ، وسُمِّي الكَنودُ بذلك لأنَّه يَكْنُدُ الشُّكرَ، أيْ: يَقْطَعُه.

بُعْثِرَ: أي: أُثيرَ وأُخرِجَ، والبعثرةُ: قلبُ الشَّيءِ وإثارتُه، بجَعلِ أعلاهُ أسْفَلَه، وأسْفَلِه أعلاهُ.

وَحُصِّلَ: أي: مُيِّزَ وبُيِّنَ، وأُظهِرَ وجُمِعَ، كإظهارِ اللُّبِّ مِنَ القِشْرِ وجَمْعِه، والتَّحْصيلُ: إخراجُ اللُّبِّ مِنَ القُشورِ، كإخراجِ الذَّهَبِ مِن حَجَرِ المعدِنِ، والبُرِّ مِنَ التِّبنِ، والحاصِلُ مِن كُلِّ شيءٍ ما حَصَلَ وذَهَب ما سِواه، وأصلُ (حصل): جَمْعُ الشَّيءِ.

* * *

تفسير الآيات:

وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (1).

أي: أُقسِمُ بالخَيلِ المُسرِعةِ الَّتي تَعْدو بقُوَّةٍ حتَّى يُسمَعَ تَرَدُّدُ أنفاسِها مِن أجوافِها.(43)

فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (2).

أي: الَّتي تُوقِدُ شَرَرَ النَّارِ بحَوافِرِها حينَ تصطَكُّ بالحِجارةِ أثناءَ عَدْوِها.(44)

---

(43) اختُلف في قوله: ﴿والعاديات ضبحا﴾ على قولين: الأول: أنها الخيل.

الثاني: أنها الإبل.

وقد بيّن ابنُ القيم أنّ قوله: ﴿ضبحا﴾ على القول الأول يكون حالًا، وعلى الثاني يكون مصدرًا.

وقد رجّح ابنُ جرير (٢٤/ ٥٧٤ بتصرف) القول الأول –مستندًا إلى دلالة الواقع، واللغة، وأقوال السلف– وعلَّل ذلك بقوله:

«وذلك أنّ الإبل لا تَضبح، وإنما تَضبح الخيل، وقد أخبر الله تعالى أنها تعدو ضبحًا، وبما قلنا في ذلك قال أهل التأويل».

وذكر أقوال السلف على أنّ الضبح هو الحَمْحَمَة.

وذكر ابنُ عطية (٨/ ٦٧٣) القولين، ثم قال: «والظاهر في الآية أنّ القسم بالخيل، أو بالإبل، أو بهما».

وبيّن ابنُ القيم أنّ ذكر خيل المجاهدين أخصّ ما دخل في هذا الوصف على سبيل التمثيل، وليس الاختصاص، فقال: وذكر خيل المجاهدين أحقّ ما دخل في هذا الوصف، فذكره على وجه التمثيل لا الاختصاص؛ فإنّ هذا شأن خيل المقاتلة، وأشرف أنواع الخيل خيل المجاهدين، والقَسم إنما وقع بما تضمّنه شأن هذه العاديات مِن الآيات البيّنات مِن خلق هذا الحيوان الذي هو من أكرم البهيم وأشرفه، وهو الذي يحصل به العِزّ والظفر والنصر على الأعداء، فتعدو طالبة للعدو وهاربة منه، فيُثير عَدْوها الغبار لشدته، وتُوري حوافرها وسنابكها النار من الأحجار لشدة عَدْوها، فتدرك الغارة التي طلبتها حتى تتوسط جمْع الأعداء، فهذا من أعظم آيات الرّبّ تعالى وأدلة قدرته وحكمته، فذكّرهم بنعمة عليهم في خَلْق هذا الحيوان الذي ينتصرون به على أعدائهم، ويُدركون به ثأرهم، كما ذكّرهم سبحانه بنعمه عليهم في خَلْق الإبل التي تحمل أثقالهم من بلد إلى بلد، فالإبل أخصّ بحمل الأثقال، والخيل أخص بنُصرة الرجال، فذكّرهم بنعمه بهذا وهذا".

(44) اختُلف في قوله: ﴿فالموريات قدحا﴾ على أقوال: الأول: هي الخيل تُوري النار بحوافرها.

الثاني: الخيل هِجْنَ الحرب بين أصحابهنّ وركبانهنّ.

الثالث: عني بذلك: الذين يُورون النار بعد انصرافهم من الحرب.

فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (3).

أي: الَّتي تُغِيرُ على العَدُوِّ وقْتَ الصَّباحِ.[45]

الرابع: معنى ذلك: مكر الرجال.

الخامس: هي الألسنة.

السادس: هي الإبل حين تسير تنسف بمناسمها الحصى.

وعلّق ابنُ عطية (٨/ ٦٧٣) على القول الثاني بقوله: «فهذا أيضًا على الاستعارة البيّنة».

وعلّق على القول الخامس بقوله: «فهذا على الاستعارة، أي: ببيانها تقدح الحجج وتُظهرها».

وقد رجّح ابنُ جرير (٢٤/ ٥٧٨) العموم، فقال: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن يُقال: إنّ الله –تعالى ذِكْره– أقسم بالموريات التي تُوري النيران قدحًا؛ فالخيل تُوري بحوافرها، والناس يُورونها بالزند، واللسان مثلًا يُوري بالمنطق، والرجال يُورون بالمكر مثلًا، وكذلك الخيل تهيج الحرب بين أهلها إذا التقتْ في الحرب.

ولم يضع الله دلالة على أنّ المراد من ذلك بعض دون بعض، فكل ما أورت النار قدحًا فداخلة فيما أقسم به؛ لعموم ذلك بالظاهر».

وذكر ابنُ عطية قولًا آخر نسبه لابن عباس وجماعة، وقال: «وقال ابن عباس أيضًا وجماعة من العلماء: الكلام عامٌّ يدخل في القَسم كلّ مَن يظهر بقدحه نارًا، وذلك شائع في الأُمَم طول الدهر، وهو نفع عظيم مِن الله تعالى، وقد وقف عليه في قوله تعالى: ﴿أفرأيتم النار التي تورون﴾ [الواقعة: ٧١]، معناه: تُظهرون بالقدح».

وذكر ابنُ القيم (٣/ ٣٥٠) القول الثاني والرابع والخامس، وانتقدها مستندًا إلى السياق، فقال: «وقال قتادة: الموريات: هي الخيل تُوري نار العداوة بين المقتتلين.

وهذا ليس بشيء، وهو بعيد من معنى الآية وسياقها، وأضعف منه قول عكرمة: هي الألسنة توري نار العداوة بعظيم ما نتكلّم به.

وأضعف منه ما ذُكر [عن] مجاهد: هي أفكار الرجال تُوري نار المكر والخديعة في الحرب».

ثم علّق قائلًا: «وهذه الأقوال إنْ أريد أنّ اللفظ دلّ عليها وأنها هي المراد فغلط، وإنْ أريد أنها أُخِذتْ من طريق الإشارة والقياس فأمرها قريب».

ثم ذكر قول ابن جُرَيْج أنه فسّر: ﴿قدحا﴾ بـ: المنجحات أمرًا.

وضعفه كذلك.

[45] اختُلف في ﴿والمُغيرات صبحًا﴾ على أقوال: الأول: فالمغيرات صُبحًا على عدوّها.

الثاني: عني بذلك: الإبل حين تدفع بركبانها مِن جمْع يوم النَّحر إلى مِنى.

فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا (4).

أي: فتُهَيِّجُ الغُبارَ في مَوضِعِ الإغارةِ.

فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا (5).

أي: فتَصيرُ في ذلك الموضِعِ وَسْطَ جَمْعِ الأعداءِ.(46)

إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (6).

أي: إنَّ الإنسانَ لَكَفورٌ لنِعَمِ رَبِّه عليه، بَخيلٌ بإعطاءِ المالِ الَّذي لدَيه.

وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ (7).

وعلّق ابنُ عطية (٥/ ٦٧٤) على القول الثاني، فقال: «وقوله تعالى: ﴿فالمغيرات صبحا﴾ قال علي وابن مسعود: هي الإبل من مُزدلفة إلى مِنى أو في بدر.

والعرب تقول: أغار إذا عدا جريًا ونحوه».

وعلّق على الأول، فقال: «وقال ابن عباس وجماعة كثيرة: هي الخيل، واللفظة من الغارة في سبيل الله وغير ذلك من سير الأمم».

وقد رجّح ابنُ جرير (٢٤/ ٥٨٠) العموم، فقال: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يُقال: إنّ الله –جلّ ثناؤه– أقسم بالمُغيرات صُبحًا، ولم يخصص من ذلك مُغيرة دون مُغيرة، فكلّ مُغيرة صُبحًا فداخلة فيما أقسم به».

(46) ذكر ابنُ عطية (٨٥/ ٦٧٤) في عود الضمير من قوله: ﴿به﴾ قولين، فقال: «والضمير في ﴿به﴾ ظاهر أنه للصُّبح المذكور، ويحتمل أن يكون للمكان والموضع الذي يقتضيه المعنى، وإن كان لم يجْرِ له ذكر».

قال ابنُ جرير (٢٤/ ٥٨٢): «وقوله: ﴿فوسطن به جمعا﴾ يقول –تعالى ذِكْره–: فوسَطْن بركبانهن جمْع القوم، يقال: وسَطت القوم –بالتخفيف–، ووسّطته –بالتشديد–، وتوسّطته؛ بمعنًى واحد.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل».

وذكر أقوال السلف على هذا، ثم ذكر قول من قال: عني بذلك مُزدلفة.

أي: وإنَّ الإنسانَ لَشاهِدٌ على نَفْسِه بحالِه وأعمالِه وأقوالِه بأنَّه كَفورٌ لِنعَمِ رَبِّه عليه.

وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (8).

أي: وإنَّ الإنسانَ لَشَديدُ المحبَّةِ للمالِ؛ فهو حريصٌ عليه، بَخيلٌ به.

كما قال تعالى: زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ [آل عمران: 14].

وقال سُبحانَه: وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا [الفجر: 20].

أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ (9).

أي: أفلا يَعلَمُ هذا الإنسانُ -الجحودُ لنِعَمِ رَبِّه، المحِبُّ للمالِ- مآلَه إذا أخرَجَ اللهُ ما في القُبورِ مِنَ الأمواتِ؟

كما قال تعالى: يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا [المعارج: 43].

وقال سُبحانَه: وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ [الانفطار: 4].

وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ (10).

أي: ومَيَّزَ اللهُ وأظهَرَ ما في قُلوبِ العِبادِ مِنَ الإيمانِ والكُفرِ، والخَيرِ والشَّرِّ.

كما قال تعالى: يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ [الطارق: 9].

إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ (11).

أي: إنَّ رَبَّ النَّاسِ خَبيرٌ بهم يومَ القيامةِ؛ فهو مُطَّلِعٌ على بواطِنِهم، ولا يَخفى عليه شَيءٌ مِن أمرِهم، وسيُجازيهم بما يَستَحِقُّونَ.

* * *

تَفْسِيرُ
سُورَةِ القارِعَةِ

سُورةُ القارِعَةِ

سُورةُ القارِعَةِ

سُمِّيَت هذه السُّورةُ بسُورةِ (القارِعَة).(47)

سُورةُ القارِعَةِ مكِّيَّةٌ، ونقَلَ الإجماعَ على ذلك غيرُ واحدٍ مِن المُفسِّرينَ.(48)

مِن أهَمِّ مقاصِدِ هذه السُّورةِ:

الحديثُ عن أهْوالِ يومِ القِيامةِ، وأحوالِ النَّاسِ فيه.

مِن أهمِّ الموضوعاتِ الَّتي اشتَمَلَتْ عليها هذه السُّورةُ:

1- ذِكرُ أهوالِ يومِ القِيامةِ.

---

(47) سُمِّيت السُّورةُ بذلك؛ لمفتتحِها: الْقَارِعَةُ.

يُنظر: ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (539/1).

(48) ممَّن نقَل الإجماعَ في ذلك: الماوَرْديُّ، وابنُ عطيَّةَ، وابنُ الجَوزيّ، والقُرطبيُّ، والبِقاعيُّ.

يُنظر: ((تفسير الماوردي)) (327/6)، ((تفسير ابن عطية)) (486/5)، ((تفسير ابن الجوزي)) (483/4)، ((تفسير القرطبي)) (164/20)، ((مصاعد النظر)) للبقاعي (239/3).

قال ابنُ عطية (٨/ ٦٧٧): «وهي مكّيّة بلا خلاف».

2- إثباتُ الجَزاءِ على الأعمالِ، وبَيانُ أحوالِ السُّعَداءِ والأشْقياءِ.

* * *

سُورَةُ القارِعَةِ

الآيات (1–11)

الْقَارِعَةُ (1) مَا الْقَارِعَةُ (2) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (3) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ
(4) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ (5) فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (6) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ
رَاضِيَةٍ (7) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (8) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (9) وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ (10) نَارٌ
حَامِيَةٌ (11)

غريب الكلمات:

الْقَارِعَةُ: أي: القيامةُ الَّتي تَقرَعُ قُلوبَ العِبادِ بالمَخافةِ، وسُمِّيت بذلك؛ لأنَّها تَقرَعُ النَّاسَ بالأهوالِ الشَّديدةِ، وأصلُ (قرع): يدُلُّ على ضَربِ الشَّيءِ.

الْمَبْثُوثِ: أي: المنتَشِرِ المتفَرِّقِ، وأصلُ (بث): يدُلُّ على التَّفريقِ.

كَالْعِهْنِ: أي: الصُّوفِ المصبوغِ، وأصلُ (عهن): يدُلُّ على لِينٍ وسُهولةٍ.

الْمَنْفُوشِ: أي: المفَرَّقِ بَعضُ أجزائِه عن بَعضٍ. والنَّفْشُ: تَشعيثُ الشَّيءِ بأصابِعِك حتَّى يَنتَشِرَ، وأصلُ (نفش): يدُلُّ على انتِشارٍ.

هَاوِيَةٌ: الهاوِيةُ: المكانُ المنخَفِضُ بيْنَ الجَبَلَينِ الَّذي إذا سَقَط فيه إنسانٌ أو دابَّةٌ هلَك، يُقالُ: سَقَط في الهاويةِ، وأُريدَ بها هنا جهنَّمُ، وقيل: هي اسمٌ لجهنَّمَ. وأصلُ (هوي): يدُلُّ على خُلُوٍّ وسُقوطٍ.

حَامِيَةٌ: أي: شديدةُ الحرارةِ.

* * *

تفسير الآيات:

الْقَارِعَةُ (1).

أي: السَّاعةُ الَّتي تَقرَعُ النَّاسَ وتُزعِجُهم، وذلك عندَ النَّفخِ في الصُّورِ.

مَا الْقَارِعَةُ (2).

أيْ: أيُّ شَيءٍ تلك القارِعةُ المَهُولةُ؟!

وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (3).

أي: وما الَّذي أعلَمَك –يا محمَّدُ– بتلك القارعةِ العَظيمةِ؟!

كما قال تعالى: الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ [الحاقة: 1 – 3].

يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (4).

أي: يومَ يَخرُجُ النَّاسُ مِن قُبورِهم كالفَراشِ المنتَشِرِ المتفرِّقِ.(49)

---

(49) بيّن ابنُ عطية (٨/ ٦٧٧ – ٦٧٨): أنّ «الفراش» في الآية: «طير دقيق، يتساقط في النار ويقصدها، ولا يزال يتقحّم على المصباح ونحوه حتى يحترق».

ثم ذكر ما أفاده قول مقاتل، ووجّهه، فقال: «وقال بعض العلماء: الناس أول قيامهم من القبور كالفراش المبثوث؛ لأنهم يجيئون ويذهبون على غير نظام، ثم يدعوهم الداعي، فيتوجّهون إلى ناحية المحشر، فهم حينئذ كالجراد المنتشر؛ لأنّ الجراد إنما توجّهه أبدًا إلى ناحية مقصودة».

ولَمَّا كانت الجِبالُ أشَدَّ ما تكونُ؛ عظَّم الرَّهبةَ بالإخبارِ بما يُفعَلُ بها، فقال تعالى:

وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ (5).

أي: وتكونُ الجِبالُ يومَ القيامةِ كالصُّوفِ المندوفِ الَّذي تتفَرَّقُ أجزاؤُه، وتتطايرُ في الجَوِّ.

فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (6).

أي: فأمَّا مَن ثَقُلَت موازينُ حَسَناتِه فرجَحَت على سيِّئاتِه.

فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (7).

أي: فهو في حياةٍ طَيِّبةٍ في الجنَّةِ يَرضى عنها.

كما قال تعالى: فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [الأعراف: 8].

وقال سُبحانَه: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا [الكهف: 107-108].

وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، عن النَّبيِّ - ﷺ - قال: ((مَن يَدخُلُ الجنَّةَ يَنعَمُ لا يَبأَسُ، لا تَبلى ثِيابُه، ولا يَفنى شَبابُه!)).(50)

---

(50) رواه مسلم (2836).

وعن أبي سَعيدٍ الخُدْريّ وأبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنهما، عن النَّبِيِّ - ﷺ - قال: ((يُنادي مُنادٍ: إنَّ لكم أنْ تَصِحُّوا فلا تَسْقَموا أبدًا، وإنَّ لكم أن تَحْيَوْا فلا تَموتوا أبدًا، وإنَّ لكم أن تَشِبُّوا فلا تَهْرَموا أبدًا، وإنَّ لكم أن تَنْعَموا فلا تَبْأَسوا أبدًا)).(51)

وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (8).

أي: وأمَّا مَن خَفَّت مَوازينُ حَسَناتِه فرجَحَت سَيِّئاتُه على حَسَناتِه إن كانت له حَسَناتٌ.

فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩).

أي: فمَأْواه ومَسكَنُه في مَوضِعٍ بَعيدٍ قَعْرُه، يَهْوِي فيه على رأسِه.(52)

وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ (10).

---

(51) رواه مسلم (2837).

(52) اختُلف في قوله: ﴿فأمه هاوية﴾ على قولين: الأول: أنّ المراد بالأُمّ: نفس الهاوية، وهي النار.

الثاني: أنّ المراد: أُمّ رأسه.

وقد علّق ابنُ عطية (٨/ ٦٧٨ - ٦٧٩) على القول الأول بقوله: «وهذا كما يقال للأرض: أُمّ الناس؛ لأنها تؤويهم، وكما قال

عُتبة بن أبي سفيان في الحرب: فنحن بنوها وهي أمّنا.

فجعل الله الهاوية أُمّ الكافر لما كانت مأواه».

وجمع ابنُ جرير (٢٤/ ٥٩٥) بين القولين، فقال: «وقوله: ﴿وأما من خفت موازينه فأمه هاوية﴾ يقول: وأمّا مَن خفّ وزن

حسناته، فمأواه ومسكنه الهاوية، التي يهوي فيها على رأسه في جهنم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل».

وذكر آثار السلف على هذا.

وزاد ابنُ عطية قولًا ثالثًا، فقال: «وقال آخرون: هو تفاؤل بشرٍّ فيه تجوُّز، كما قالوا: أمه ثاكل، وهوى نجمه».

أي: قال اللهُ مُفخِّمًا شأنَها، ومُعظِّمًا أمْرَها: وما الَّذي أعلَمَك –يا محمَّدُ– أيُّ شَيءٍ تلك الهاويةُ؟!

نَارٌ حَامِيَةٌ (11).

أي: هي نارٌ قد بلغت الغايةَ في شِدَّةِ الحَرارةِ.

كما قال تعالى: وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ [المؤمنون: 103].

وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ رَسولَ اللهِ – ﷺ – قال: ((إنَّ العَبدَ لَيتكلَّمُ بالكَلِمةِ ما يَتبيَّنُ ما فيها، يَهوي بها في النَّارِ أبْعَدَ ما بيْنَ المَشرِقِ والمَغرِبِ!)).(53)

وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ النَّبيَّ – ﷺ – قال: ((نارُكم هذه الَّتي يُوقِدُ ابنُ آدَمَ: جُزءٌ مِن سَبعينَ جُزءًا مِن حَرِّ جهنَّمَ. قالوا: واللهِ إنْ كانت لَكافيةً يا رَسولَ اللهِ! قال: فإنَّها فُضِّلَت عليها بتِسْعةٍ وسِتِّينَ جُزءًا، كُلُّها مِثلُ حَرِّها)).(54)

* * *

---

(53) رواه البخاري (6477)، ومسلم (2988) واللَّفظُ له.

(54) رواه البخاري (3265)، ومسلم (2843) واللَّفظ له.

تَفْسِيرُ
سُورَةِ التَّكاثُرِ

سُورةُ التَّكاثُرِ

سُورةُ التَّكاثُرِ

سُمِّيَت هذه السُّورةُ بسُورةِ التَّكاثُرِ.(55)

وسُمِّيت أيضًا بسُورةِ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ، فعن عبدِ اللهِ بنِ الشِّخِّيرِ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((أتَيْتُ النَّبيَّ – ﷺ –وهو يَقرأُ: أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ...)).(56)

سُورةُ التَّكاثُرِ مكِّيَّةٌ، نقَلَ الإجماعَ على ذلك غيرُ واحدٍ مِن المُفسِّرينَ.(57)

---

(55) سُمِّيَت بذلك؛ لذِكْرِ لَفْظِ التَّكاثُرِ فيها.

يُنظر: ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (540/1).

قال ابنُ عاشورٍ: (سُمِّيَت في مُعْظَمِ المصاحِفِ ومُعْظَمِ التَّفاسيرِ «سُورةَ التَّكاثُرِ»، وكذلك عَنْوَنَها التِّرْمذيُّ في «جامِعِه»...

وسُمِّيَت في بَعضِ المصاحِفِ «سُورةَ أَلْهاكم»، وكذلك تَرْجَمَها البُخاريُّ في كتابِ التَّفْسيرِ من «صَحيحِه»).

((تفسير ابن عاشور)) (517/30).

وسُمِّيَت أيضًا بسُورةِ المَقْبَرَةِ.

يُنظر: ((تفسير الألوسي)) (451/15).

(56) رواه مسلمٌ (2958).

(57) ممَّن نقَل الإجماعَ على ذلك: ابنُ عطيَّةَ، وابنُ الجَوزيِّ، والقُرْطبيُّ، والبِقاعيُّ.

يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (488/5)، ((تفسير ابن الجوزي)) (485/4)، ((تفسير القرطبي)) (186/20)، ((مصاعد النظر)) للبقاعي (241/3).

ونسَبَ ابنُ عاشورٍ القولَ بأنَّها مكِّيَّةٌ للجُمهورِ.

مِن أهَمِّ مقاصِدِ هذه السُّورةِ:

النَّهيُ عمَّا يَجُرُّ إلى العذابِ، والتَّذكيرُ بالسُّؤالِ يومَ القِيامةِ.

مِن أهمِّ الموضوعاتِ الَّتي اشتَمَلَتْ عليها هذه السُّورةُ:

1- النَّهيُّ عن التَّفاخُرِ والتَّكاثُرِ.

2- الحَضُّ على التَّزَوُّدِ مِن العمَلِ الصَّالِحِ، وعلى ما يُنجِّي مِن العَذابِ.

3- التَّأكيدُ على أنَّ يومَ القِيامةِ حَقٌّ، وعلى أنَّ الحِساب حَقٌّ، وعلى أنَّ الجَزاءَ حَقٌّ.

* * *

يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (517/30).

ويُنظر أيضًا: ((الإتقان في علوم القرآن)) للسيوطي (54/1).

قال ابنُ عطية (٨/ ٦٨٠): «وهي مكّيّة، لا أعلم فيها خلافًا».

سُورةُ التَّكاثُرِ

الآيات (1–8)

أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (1) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (2) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (3) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (4) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (5) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (6) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (7) ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (8)

غريب الكلمات:

أَلْهَاكُمُ: أي: شَغَلكم، وأصلُ (لهو) هنا: يدُلُّ على شُغلٍ عن شَيءٍ بشَيءٍ.

التَّكَاثُرُ: أي: التَّباهي والتَّفاخرُ بكَثرةِ المالِ والعَدَدِ وغيرِ ذلك، والتَّكاثرُ أن يَطلُبَ الرَّجُلُ أن يكونَ أكثَرَ مِن غيرِه، وأصلُ (كثر): يدُلُّ على خِلافِ القِلَّةِ.

الْجَحِيمَ: أي: النَّارَ، والجُحْمَةُ: شدَّةُ تأجُّجِ النَّارِ، ومنه: الجحيمُ، وأصْلُ (جحم): الحرارةُ وشِدَّتُها.

* * *

تفسير الآيات:

أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (1).

أي: شَغَلكم عن طاعةِ اللهِ –أيُّها النَّاسُ– التَّكاثُرُ بالأموالِ والأولادِ، وغيرِ ذلك مِن مَتاعِ الدُّنيا.

كما قال تعالى: اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ [الحديد: 20].(58)

حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (2).

أي: دُمتُم على تلك الحالِ إلى أن مُتُّم ودُفِنتُم في المقابِرِ!(59)

---

(58) اختُلف في المراد بالتكاثر على قولين: الأول: أنه التكاثر بالمال.

الثاني: أنه التكاثر بالعدد.

وقد جمع ابنُ جرير (٢٤/ ٥٩٨) بين القولين، فقال: «يقول –تعالى ذِكْره–: ألهاكم أيها الناس المباهاة بكثرة المال والعدد عن طاعة ربّكم، وعما ينجيكم من سخطه عليكم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل».

وبنحوه قال ابنُ عطية (٨/ ٦٨٠).

(59) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٦٨١) في قوله: ﴿حتى زرتم المقابر﴾ عدة أقوال، فقال: «واختلف المتأولون في معنى قوله تعالى: ﴿حتى زرتم المقابر﴾؛ فقال قوم: حتى ذكرتم الموتى في تفاخركم بالآباء والسلف، وتكثّرتم بالعظام الرميم.

وقال آخرون: المعنى: حتى مِتم وزُرتم بأجسادكم مقابركم، أي: قطعتم بالتكاثر أعمارهم، وعلى هذا التأويل رُوي أنّ أعرابيًا سمع هذه الآية، فقال: بعث القوم للقيامة، وربِّ الكعبة، فإن الزائر منصرف لا يقيم.

وحكى النقاش هذه النزعة من عمر بن عبد العزيز.

وقال آخرون: هذا تأنيب على الإكثار من زيارة القبور، أي: حتى جعلتم أشغالكم القاطعة لكم عن العلم والتعلّم زيارة القبور تكثُّرًا بمَن سلف وإشادة بذِكره، وقال: ثم قال النبي – ﷺ –: «كنتُ نهيتُكم عن زيارة القبور، فزُوروها، ولا تقولوا هُجرًا».

عن عبدِ اللهِ بنِ الشِّخّيرِ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((أتَيْتُ النَّبيَّ – ﷺ – وهو يَقرأُ: أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ قال: يقولُ ابنُ آدَمَ: مالي، مالي، وهل لك –يا ابنَ آدَمَ– مِن مالِك إلَّا ما أكَلْتَ فأفنَيْتَ، أو لَبِسْتَ فأبلَيتَ، أو تصدَّقْتَ فأمضَيتَ؟!)).(60)

وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ رَسولَ اللهِ – ﷺ – قال: ((يقولُ العَبدُ: مالي، مالي، إنَّما له مِن مالِه ثلاثٌ: ما أكَلَ فأفْنَى، أو لَبِسَ فأبْلَى، أو أعطَى فاقتَنَى،(61) وما سِوى ذلك فهو ذاهِبٌ وتارِكُه للنَّاسِ)).(62)

كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (3).

أي: ما هكذا ينبغي أن تفعَلوا؛ فانزَجِروا عن الالتِهاءِ بالتَّكاثُرِ، فسوف تَعلَمونَ بعْدَ مَوتِكم خطأَ ذلك، وسُوءَ عاقِبَتِه.

فكان نهيه – عليه السلام – في معنى الآية، ثم أباح بعد لمعنى الاتعاظ، لا لمعنى المباهاة والتفاخر كما يصنع الناس في ملازمتها، وتسنيمها بالرخام والحجارة، وتلوينها سرفًا، وبنيان النواويس عليها».

(60) رواه مسلم (2958).

(61) اقتنى: أي: ادَّخَره لنَفْسِه في الآخرةِ.

يُنظر: ((كشف المشكل من حديث الصحيحين)) لابن الجوزي (3/585).

(62) رواه مسلم (2959).

ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (4).

أي: قال اللهُ تعالى مؤكِّدًا هذا التَّهديدَ والوَعيدَ: ثمَّ انزَجِروا عن الانشِغالِ بالتَّكاثُرِ عن طاعةِ اللهِ؛ فسوف تَعلَمونَ إذا نزَل بكم الموتُ خطأَ ذلك، وسُوءَ عاقبتِه.(63)

---

(63) اختُلف في تكرار قوله: ﴿ثم كل سوف تعلمون﴾ على أقوال: الأول: أنّ العلم الأول عند دخول القبر، والعلم الثاني عند الخروج منه.

الثاني: أنّ العلم الأول للكفار، والثاني للمؤمنين.

الثالث: أنّ العلم الأول عند نزول الموت، والثاني عند دخول القبر.

ورجّح ابنُ القيم (٣/ ٣٥٦ - ٣٥٧ بتصرف) -مستندًا إلى الدلالة العقلية، وآثار السلف، والسياق- ما جاء في قول مقاتل والحسن قبله أنّ قوله: ﴿كلا سوف تعلمون * ثم كلا سوف يعلمون﴾ ليس تأكيدًا لحصول العلم، وإنما العلم الأول عند نزول الموت، والعلم الثاني في القبر، فقال: «ويدل على صحة هذا القول عدة أوجه: أحدها: أنّ الفائدة الجديدة والتأسيس هو الأصل، وقد أمكن اعتباره مع فخامة المعنى وجلالته وعدم الإخلال بالفصاحة.

الثانى: توسُّط ﴿ثم﴾ بين العِلمين، وهي مؤذنة بتراخي ما بين المرتبتين زمانًا وخطرًا.

الثالث: أنّ هذا القول مطابق للواقع؛ فإنّ المحتَضَر يعلم عند المعاينة حقيقة ما كان عليه، ثم يعلم في القبر وما بعده ذلك عِلمًا هو فوق الأول.

الرابع: أنّ عليَّ بن أبي طالب؟ وغيره من السلف فهموا من الآية عذاب القبر، قال الترمذي: حدثنا أبو كُريب...

عن علي رضي الله عنه قال: ما زلنا نشُكّ في عذاب القبر حتى نزلت: ﴿الهاكم التكاثر﴾.

قال الواحدي: يعني: أنّ معنى قوله: ﴿كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ في القبر.

الخامس: أنّ هذا مطابق لما بعده من قوله: ﴿لَتَرَوُنَّ الجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ اليَقِينِ﴾، فهذه الرؤية الثانية غير الأولى من وجهين: إطلاق الأولى، وتقييد الثانية بعين اليقين، وتقدّم الأولى، وتراخي الثانية عنها».

وقال ابنُ عطية (٨/ ٦٨١): «وقوله تعالى: ﴿كلا سوف تعلمون﴾ زجر ووعيد، ثم كرّر تعالى: ﴿كلا﴾ تأكيدًا، ويأخذ الناس من هذا الزجر والوعيد المكررين كلُّ أحد على قدْر حظّه مِن التوغل فيما يكره.

هذا تأويل جمهور المفسرين».

بيّن ابن جرير (٢٤/ ٦٠١) أنّ تكرار قوله: ﴿ثم كل سوف تعلمون﴾ إنما هو للتغليظ في التخويف والتهديد.

كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (5).

أي: انزَجِروا عن الانشِغالِ بالتَّكاثُرِ؛ فلو تَعلَمونَ الآنَ قبْلَ مَوتِكم عِلمًا يقينيًّا أنَّ اللهَ سيَبعَثُكم يومَ القيامةِ ويُحاسِبُكم ويُجازيكم على أعمالِكم، لَمَا ألْهاكم التَّكاثُرُ عن طاعةِ اللهِ، وحَرَصتُم عليها.

عن أنَسِ بنِ مالِكٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((خَطَب رَسولُ اللهِ - ﷺ - خُطبةً ما سَمِعتُ مِثْلَها قَطُّ، قال: لو تَعلَمونَ ما أعلَمُ لَضَحِكتُم قليلًا، ولَبَكَيتُم كثيرًا!)).(64)

لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (6).

أي: أُقسِمُ إنَّكم ستَرَونَ الجَحيمَ في الآخِرةِ.

كما قال تعالى: وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى [النازعات: 36].

ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (7).

أي: ثُمَّ أُقسِمُ إنَّكم ستَرَونَ الجحيمَ في الآخِرةِ رُؤيةً حقيقيَّةً مُؤَكَّدةً بأبصارِكم، لا تَشُكُّونَ في مُشاهَدتِها.

---

(64) رواه البخاري (4621) واللَّفظُ له، ومسلم (2359).

ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (8).

أي: ثُمَّ أُقسِمُ إنَّكم ستُسأَلونَ يومَ القيامةِ عن جميعِ ما تنعَّمتُم به في الدُّنيا.(65)

---

(65) اختُلف في المراد بالنعيم على أقوال: الأول: أنه الأمن والصَّحَّة.

الثاني: الصِّحَّة والفراغ.

الثالث: أنه بعض ما يطعمه الإنسان ويشربه.

الرابع: أنه الصِّحَّة والسمع والبصر.

الخامس: أنه العافية.

السادس: أنه كل ما التذّه الإنسان في الدنيا من شيء.

وقد رجّح ابنُ جرير (٢٤/ ٦١١) العموم، فقال: «والصواب من القول في ذلك أن يُقال: إنّ الله أخبر أنه سائل هؤلاء القوم عن النعيم، ولم يخصص في خبره أنه سائلهم عن نوع من النعيم دون نوع، بل عمّ بالخبر في ذلك عن الجميع، فهو سائلهم كما قال عن جميع النعيم، لا عن بعض دون بعض».

وقال ابنُ عطية (٨/ ٦٨٢): «أخبر تعالى أنّ الناس مسؤولون يومئذ عن نعيمهم في الدنيا كيف نالوه؟ ولم آثروه؟، وتتوجه في هذا أسئلة كثيرة بحسب شخص شخص».

وذكر ابنُ كثير (١٤/ ٤٤٩) القول السادس عن مجاهد، وعلّق عليه قائلًا: «وقول مجاهد هذا أشمل هذه الأقوال».

جاء في قول مقاتل والحسن في تفسير آية: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ ما يفيد أنّ الخطاب في الآية معنيّ به الكافرين.

وقد ذكر ذلك ابنُ القيم (٣/ ٣٥٩ – ٣٦١ بتصرف)، وانتقده مستندًا إلى السنة، وفهم السلف، والدلالة العقلية، فقال:

«ليس في اللفظ ولا في السنة الصحيحة ولا في أدلة العقل ما يقتضى اختصاص الخطاب بالكفار، بل ظاهر اللفظ وصريح السنة والاعتبار يدل على عموم الخطاب لكلّ مَن اتصف بإلهاء التكاثر له، فلا وجه لتخصيص الخطاب ببعض المتصفين بذلك.

ويدل على ذلك قول النبى عند قراءة هذه السورة: «يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك من مالك إلا ما أكلتَ فأفنيتَ، أو لبِستَ فأبليتَ؟».

الحديث، وهو في صحيح مسلم.

وقائل ذلك قد يكون مسلمًا، وقد يكون كافرًا، ويدل عليه أيضًا الأحاديث التى تقدّمتْ، وسؤال الصحابة النبي، وفهْمهم العموم، حتى قالوا له: وأي نعيم نُسأل عنه، وإنما هو الأسوَدان؟! فلو كان الخطاب مختصًّا بالكفار لبيَّن لهم ذلك، وقال: ما لكم ولها إنما هي للكفار، فالصحابة فهموا التعميم، والأحاديث صريحة في التعميم، والذى أُنزل عليه القرآن أقرّهم على فهم العموم...

عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رَسولُ اللهِ – ﷺ –: ((إنَّ أوَّلَ ما يُسأَلُ عنه يومَ القيامةِ – يعني: العَبدَ مِن النَّعيمِ– أن يُقالَ له: ألَمْ نُصِحَّ لك جِسْمَك، ونُرْوِيَك مِن الماءِ البارِدِ؟)).(66)

وعن أبي هُرَيرةَ رضِيَ الله عنه، عن النَّبيِّ – ﷺ – في حديثِ الرُّؤيةِ الطَّويلِ، وفيه قال: ((... فيَلْقى العَبدَ فيَقولُ: أيْ فُلُ، ألَمْ أُكرِمْكَ، وأُسَوِّدْكَ، وأُزَوِّجْكَ، وأُسَخِّرْ لك الخَيْلَ والإبِلَ، وأَذَرْكَ تَرْأَسُ وتَرْبَعُ؟)).(67)

وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ الله عنه، قال: ((خرَجَ رَسولُ اللهِ – ﷺ – ذاتَ يومٍ –أو لَيلةٍ– فإذا هو بأبي بَكرٍ وعُمَرَ، فقال: ما أخرَجَكما مِن بُيوتِكما هذه السَّاعةَ؟ قالا: الجُوعُ، يا رَسولَ اللهِ... فلمَّا أنْ شَبِعوا ورَوُوا قال رَسولُ اللهِ – ﷺ – لأبي بكرٍ وعُمَرَ: والَّذي نَفْسي بيَدِه، لَتُسأَلُنَّ عن هذا النَّعيمِ يومَ القيامةِ؛ أخرَجَكم مِن بُيوتِكم الجُوعُ، ثُمَّ لم تَرجِعوا حتَّى أصابكم هذا النَّعيمُ!)).(68)

وأيضًا فالواقع يشهد بعدم اختصاصه، وأنّ الإلهاء بالتكاثر واقع من المسلمين كثيرًا، بل أكثرهم قد ألهاه التكاثر، وخطاب القرآن عام لمن بلغه، وإن كان أول مَن دخل فيه المعاصرين لرسول الله فهو متناول لمن بعدهم، وهذا معلوم بضرورة الدين وإن نازع فيه من لا يُعتدّ بقوله من المتأخرين».

وذكر أنّ حديث أبي بكر –الوارد في المتن من رواية ابن مسعود في آخره: «المؤمن لا يثرب عليه...» – والمفيد تخصيص السؤال بالكافرين ضعيف لا يُحتجُّ به، ومع ضعفه عارضه حديث آخر لأبي بكر –وهو الوارد في المتن قبله من رواية أبي هريرة– والمفيد عموم السؤال عن النعيم لجميع الناس.

(66) أخرجه الترمذيُّ (3358) واللَّفظُ له، وابنُ حِبَّانَ (7364)، والحاكمُ (7203).

صحَّحه ابنُ حِبَّانَ، وكذا ابنُ العرَبيِّ في ((عارضة الأحوذي)) (406/6)، والألبانيُّ في ((صحيح سنن الترمذي)) (3358)، وشعيبٌ الأرناؤوط في تخريج ((صحيح ابن حبان)) (7364)، وصَحَّح إسنادَه الحاكِمُ.

(67) رواه مسلم (2968).

(68) رواه مسلم (2038).

وعن الزُّبَيرِ بنِ العَوَّامِ رَضِـــيَ اللهُ عنه، قال: ((لَمَّا نزَلَت: ثُمَّ لَتُسْـــأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ قال الزُّبَيرُ: يا رَسولَ اللهِ، فأيُّ النَّعيمِ نُسأَلُ عنه، وإنَّما هما الأسْوَدانِ: التَّمرُ والماءُ؟! قال: أمَا إنَّه سيَكونُ!)).(69)

* * *

---

(69) أخرجه الترمذيُّ (3356) واللَّفظُ له، وابنُ ماجه (4158)، وأحمدُ (1405).

حسَّنه الترمذيُّ، وكذا الألبانيُّ في ((صحيح سنن ابن ماجه)) (4158)، وصَحَّح إسنادَه أحمد شاكر في تخريج ((مسند أحمد)) (3/3)، وحَسَّن إسنادَه شعيبٌ الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (25/3).

تَفْسِيرُ
سُورَةِ العَصْرِ

سُورةُ العَصْرِ

سُورةُ العَصْرِ

سُمِّيت هذه السُّورةُ بسُورةِ (العَصْرِ).(70)

سُورةُ العَصْرِ مكِّيَّةٌ، وحُكِيَ الإجماعُ على ذلك.(71)

مِن أهَمِّ مقاصِدِ هذه السُّورةِ:

بَيانُ مَن هُم أهْلُ الخُسرانِ، ومَن هُم أهلُ السَّعادةِ.

---

(70) سمِّيت هذه السُّورةُ بذلك؛ لافتِتاحِها بالقَسَمِ الإلهيِّ في قولِه: وَالْعَصْرِ.

يُنظر: ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (542/1).

قال ابن عاشور: (وسُمِّيتْ في بعضِ كتبِ التَّفسيرِ وفي «صحيحِ البخاريّ» سورةَ «والعصرِ» بإثباتِ الواوِ على حكايةِ أوَّلِ كلمةٍ فيها، أيْ: سورةُ هذه الكلمةِ).

((تفسير ابن عاشور)) (527/30).

(71) نقَل الإجماعَ على ذلك: البِقاعيُّ.

يُنظر: ((مصاعد النظر)) (245/3).

ونسَب ابنُ الجَوزيِّ، وأبو حيَّانَ، والشَّوكانيُّ القولَ بأنَّها مكِّيَّةٌ إلى الجمهورِ.

يُنظر: ((تفسير ابن الجوزي)) (487/4)، ((تفسير أبي حيان)) (538/10)، ((تفسير الشوكاني)) (600/5).

وقيل: السُّورةُ مدَنيَّةٌ.

يُنظر: المصادر السَّابقة.

مِن أهمِّ الموضوعاتِ الَّتي اشتَمَلَتْ عليها هذه السُّورةُ:

1- القَسَمُ بالعَصرِ على ثُبوتِ الخُسرانِ للإنسانِ.

2- إثباتُ نَجاةِ وفَوْزِ الَّذين آمَنوا وعَمِلوا الصَّالِحاتِ، والمُوصِي بَعضُهم بَعضًا بالحَقِّ والصَّبرِ.

* * *

سُورةُ العَصْرِ

الآيات (1–3)

وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا

بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3)

تفسير الآيات:

وَالْعَصْرِ (1).

أي: أُقسِمُ بالعَصرِ.(72)

إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2).

أي: إنَّ كُلَّ إنسانٍ لَفي خَسارةٍ وهَلاكٍ.

إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3).

إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا.

أي: إلَّا الَّذين آمَنوا بكُلِّ ما وجَبَ عليهم الإيمانُ به.

---

(72) اختُلف فيما عنى الله بقوله: ﴿والعصر﴾ على أقوال: الأول: الدهر.

الثاني: العشي.

الثالث: أنها صلاة العصر.

وقد رجّح ابنُ جرير (٢٤/ ٦١٢) العموم، فقال: «والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنّ ربّنا أقسم بالعصر، والعصر اسم للدَّهر، وهو العشي والليل والنهار، ولم يخصص مما شمله هذا الاسم معنى دون معنى، فكلّ ما لزمه هذا الاسم فداخل فيما أقسم به -جلّ ثناؤه-».

ورجّح ابنُ القيم (٣/ ٣٦٧) -مستندًا إلى اللغة- القول الأول، فقال: «وأكثر المفسرين على أنه الدَّهر، وهذا هو الراجح، وتسمية الدَّهر عصرًا معروف في لغتهم، قال:

ولن يلبث العصران يوم وليلة إذا طلبا أن يدركا ما تيمما».

وعلّق ابنُ كثير (١٤/ ٤٥١) فقال: «والمشهور الأول».

كما قال تعالى: وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ [البقرة: 177].

وفي حَديثِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عنه في قِصَّةِ سُؤالِ جِبريلَ عليه السَّلامُ، قال للنَّبيِّ – ﷺ –: أخبِرْني عن الإيمانِ، فقال: ((أن تؤمِنَ باللهِ وملائِكَتِه وكُتُبِه ورُسُـلِه واليَومِ الآخِرِ، وتُؤمِنَ بالقَدَرِ؛ خَيرِه وشَرِّه)).(73)

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ.

أي: وعَمِلوا الأعمالَ الصَّالحةَ الظَّاهِرةَ والباطِنةَ بإخلاصٍ للهِ، ومُتابَعةٍ لِرَسوله عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ.

وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ.

أي: وأوصى بعضُهم بَعضًا بلُزومِ القُرآنِ، واتِّباعِ دِينِ الإسلامِ.

وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ.

أي: وأوصى بَعضُهم بَعضًا بالصَّبرِ على طاعةِ اللهِ، وعن معصيةِ اللهِ، وعلى أقدارِ اللهِ المؤلِمةِ.

* * *

---

(73) رواه مسلم (8).

تَفْسِيرُ

سُورَةِ الهُمَزَةِ

سُورةُ الهُمَزَةِ

سُورةُ الهُمَزَةِ

سُمِّيت هذه السُّورةُ بسُورةِ الهُمَزَةِ.(74)

سُورةُ الهُمَزَةِ مكِّيَّةٌ، نقلَ الإجماعَ على ذلك غيرُ واحدٍ مِن المُفسِّرينَ.(75)

مِن أهَمِّ مقاصِدِ هذه السُّورةِ:

ذِكرُ أَوصافِ الهالِكينَ.

---

(74) سُمِّيت هذه السُّورةُ بذلك؛ لافتتاحِها بقَولِه تعالى: وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ.

وسُمِّيت أيضًا سُورةَ وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ، وسورةَ (الحُطَمةِ)؛ لوُقوعِ هذه الكَلِمةِ فيها.

يُنظر: ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (543/1)، ((تفسير ابن عاشور)) (535/30).

(75) ممَّن نقَل الإجماعَ على ذلك: ابنُ عطيَّةَ، وابنُ الجَوزيِّ، والقُرطبيُّ، والبِقاعيُّ.

يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (491/5)، ((تفسير ابن الجوزي)) (488/4)، ((تفسير القرطبي)) (181/20)، ((مصاعد النظر)) للبقاعي (247/3).

قال ابنُ عطية (٨/ ٦٨٧): «وهي مكّيّة بلا خلاف».

مِن أهمِّ الموضوعاتِ الَّتي اشتَمَلَتْ عليها هذه السُّورةُ:

التَّهديدُ الشَّديدُ لِمَن يَعِيبُ النَّاسَ، ويَتهَكَّمُ بهم، ويَتطاوَلُ عليهم، بسَببِ كَثرةِ مالِه، وجُحودِه للحَقِّ، وبَيانُ عُقوبتِه.

* * *

سُورةُ الهُمَزَةِ

الآيات (1–9)

وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ (1) الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ (2) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (3) كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (4) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (5) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (6) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ (7) إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ (8) فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ (9)

غريب الكلمات:

وَيْلٌ: أي: عَذابٌ وهَلاكٌ. وقيلَ: وَيلٌ: وادٍ في جهنَّمَ.

هُمَزَةٍ: أي: عيَّابٍ مُغتابٍ للنَّاسِ، وهَمْزُ الإنسانِ: اغتيابُه والطَّعنُ في عِرْضِه، وأصلُ (همز): يدُلُّ على ضَغطٍ وعَصرٍ.

لُمَزَةٍ: أي: عَيَّابٍ، واللَّمْزُ: الاغتيابُ وتتبُّعُ المَعايبِ، وأصلُه الإشارةُ بالعَينِ ونَحوِها. وقيل: الهُمَزةُ: الَّذي يَعِيبُك في الغَيْبِ، واللُّمَزةُ: الَّذي يَعيبُك في الوَجْهِ. وقيل العَكسُ. وأصلُه اللَّمزُ، وهو العَيبُ.

لَيُنْبَذَنَّ: أي: لَيُطرَحَنَّ ويُقذَفَنَّ، وأصلُ (نبذ): يدُلُّ على طَرحٍ وإلقاءٍ.

الْحُطَمَةِ: أي: النَّارِ؛ سُمِّيَت بذلك لأنَّها تَحطِمُ كُلَّ شَيءٍ وتَكسِرُه، وأصلُ (حطم): يدُلُّ على كَسرِ الشَّيءِ.

الْأَفْئِدَةِ: جَمْعُ فؤادٍ، وهو القلبُ؛ سمِّيَ بذلك لحرارَتِه، أو لتوقُّدِه، وأصلُ (فأد): يدُلُّ على حُمًّى وشِدَّةِ حرارةٍ.

مُؤْصَدَةٌ: أي: مُطبَقَةٌ مُغلَقةٌ، وأصلُ (وصد): يدُلُّ على ضَمِّ شَيءٍ إلى شَيءٍ.

مُمَدَّدَةٍ: أي: مَمدودةٍ مُطوَّلةٍ، وأصلُ (مدد): يدُلُّ على اتِّصالِ شيءٍ بشَيءٍ في استِطالةٍ.

* * *

تفسير الآيات:

وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ (1).

أي: عَذابٌ شديدٌ وهلاكٌ يومَ القيامةِ لكُلِّ طعَّانٍ عيَّابٍ للنَّاسِ.(76)

---

(76) اختُلف في نزول الآية على قولين: الأول: أنها عامة في كلّ من اتصف بهذه الصفات.

الثاني: أنها في مُشرك بعينه، فقيل: نزلت في أُميّة بن خلف.

وقيل: في جميل بن عامر الجُمحيّ.

وقيل: في الوليد بن المُغيرة.

وقيل: الأَخْنَس بن شَريق.

وقيل: أُبيّ بن خلف.

وقد رجّح ابنُ جرير (٢٤/ ٦٢٠) العموم، فقال: «والصواب من القول في ذلك أن يُقال: إنّ الله عمّ بالقول كلّ هُمَزة لُمَزة، كلّ مَن كان بالصفة التي وصف هذا الموصوف بها، سبيله سبيله كائنًا من كان من الناس».

وبنحوه قال ابنُ عطية (٨/ ٦٨٨).

يّن ابنُ جرير (٢٤/ ٦١٦) أنّ المراد بالهُمَزَة: مَن يغتاب الناس.

واللُّمَزة: مَن يَطعن فيهم ويَعيبهم.

فقال: «يعني –تعالى ذِكْره– بقوله: ﴿ويل لكل همزة﴾ الوادي يسيل من صديد أهل النار وقيحهم ﴿لكل همزة﴾ يقول: لكلّ مغتاب للناس، يغتابهم ويغضهم، كما قال زياد الأعجم:

تُدْلِي بِوُدِّي إذا لاقَيْتَنِي كَذِبًا وإن أُغَيَّبْ فَأَنتَ الهامِزُ اللُّمَزَهْ.

ويعني باللُّمَزة: الذي يَعيب الناس، ويطعن فيهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل «.

وذكر قول قتادة، ومجاهد، وابن عباس.

ثم ذكر قول عبد الرحمن ابن زيد:» أنّ الهُمَزَة: هو الذي يَهمِز الناس بيده، ويضربهم بلسانه، واللُّمَزة: مَن يَلمِزهم بلسانه ويعيبهم».

كما قال تعالى: الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ [التوبة: 79].

وقال سُبحانَه: هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ [القلم: 11].

الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ (2).

أي: الَّذي جَمَعَ مالًا كثيرًا وأحصى عدَدَه، فهو حريصٌ على حِفْظِه وعَدَمِ نَقْصِه، وألَّا يُنفِقَ منه في سَبيلِ اللهِ.

كما قال تبارك وتعالى: إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا * الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ [النساء: 36، 37].

وقال سُبحانَه: وَجَمَعَ فَأَوْعَى [المعارج: 18].

يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (3).

أي: يَظُنُّ هذا الحَريصُ على مالِه البَخيلُ به أنَّ ذلك سيُخَلِّدُه في الدُّنيا!

كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (4).

أي: ليس الأمرُ كما يَظُنُّ هذا الإنسانُ؛ فلْيَرتَدِعْ عن ذلك! وأُقسِمُ لَيُطرَحَنَّ يومَ القيامةِ في النَّارِ الَّتي تَحطِمُ وتَكسِرُ ما يُلقَى فيها!

وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (5).

أي: وما الَّذي أعلَمَك –يا محمَّدُ– أيُّ شَيءٍ تلك الحُطَمةُ العظيمةُ الشَّأنِ؟!

نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (6).

أي: هي نارُ اللهِ المُسَعَّرةُ الَّتي تتوقَّدُ بالنَّاسِ والحِجارةِ.

كما قال تعالى: فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ [البقرة: 24].

الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ (7).

أي: الَّتي تبلُغُ مِن شِدَّتِها قُلوبَ الكافِرينَ وتَنفُذُ إليها!

إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ (8).

أي: إنَّ تلك النَّارَ مُطبَقةٌ على أولئك الَّذين تقدَّمَ ذِكرُ صِفاتِهم، ومُغلَقةٌ أبوابُها عليهم.

فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ (9).

أي: مُطبَقةٌ ومَسدودةٌ بأعمِدةٍ ممدودةٍ في النَّارِ.(77)

* * *

---

(77) اختُلف في قوله: ﴿في عمد ممددة﴾ على أقوال: الأول: أنها أوتاد الأطباق التي تُطبق على أهل النار.

و﴿في﴾ بمعنى الباء.

والمعنى: مُطْبَقة بعمد.

الثاني: أنّ المعنى إنما دخلوا في عمد، ثم مُدّتْ عليهم تلك العمد بعماد.

الثالث: هي عمد يُعذَّبون بها.

وقد رجّح ابنُ جرير (٢٤/ ٦٢٦) القول الثالث لعدم الدليل على باقي الأقوال، فقال: «وأولى الأقوال بالصواب في ذلك قول مَن قال: معناه: أنهم يُعذِّبون بعمد في النار، والله أعلم كيف تعذيبه إياهم بها، ولم يأتنا خبر تقوم به الحجّة بصفة تعذيبهم بها، ولا وضع لنا عليها دليل، فندرك به صفة ذلك، فلا قول فيه، غير الذي قلنا يصحّ عندنا».

تَفْسِيرُ
سُورَةِ الفِيلِ

سُورةُ الفِيلِ

سُورةُ الفِيلِ

سُمِّيَت هذه السُّورةُ بسُورةِ (الفِيل).(78)

سُورةُ الفِيل مكِّيَّةٌ، نقَلَ الإجماعَ على ذلك غيرُ واحدٍ مِن المُفسِّرينَ.(79)

مِن أهَمِّ مقاصِدِ هذه السُّورةِ:

1- بَيانُ ما فُعِلَ بأصحابِ الفيلِ.

2- تَثبيتُ المؤمنينَ على الحَقِّ.

---

(78) سُمِّيَتْ هذه السُّورةُ بذلك؛ لذِكرِ حادِثةِ الفيلِ فيها في قولِه: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ.

يُنظر: ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (544/1).

وسُمِّيتْ أيضًا: سورةَ أَلَمْ تَرَ.

يُنظر: ((صحيح البخاري)) (177/6)، ((تفسير ابن عاشور)) (543/30).

(79) ممَّن نقَلَ الإجماعَ على ذلك: ابنُ عطيَّةَ، وابنُ الجَوزيِّ، والقُرطبيُّ، والبِقاعيُّ.

يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (493/5)، ((تفسير ابن الجوزي)) (490/4)، ((تفسير القرطبي)) (187/20)، ((مصاعد النظر)) للبقاعي (249/3).

قال ابنُ عطية (٨/ ٦٨٩): «وهي مكية إجماعًا من الرواة».

مِن أهمِّ الموضوعاتِ الَّتي اشتَمَلَتْ عليها هذه السُّورةُ:

بَيانُ جَزاءِ أصحابِ الفِيلِ، ومَكْرِهم، ورَدِّ كَيدِهم في نَحرِهم، وما نَزَلَ بهم مِن العُقوبةِ، وما آلَ إليه أمْرُهم مِن سُوءِ العاقِبةِ.

* * *

سُورةُ الفِيلِ

الآيات (1–5)

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (1) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (2) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ
طَيْرًا أَبَابِيلَ (3) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (4) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (5)

غريب الكلمات:

كَيْدَهُمْ: أي: مَكْرَهم، وسَعْيَهم في تخريبِ الكعبةِ، واستِباحةِ أهلِها، وأصلُ (كيد): يدُلُّ على مُعالجَةٍ لشَيءٍ بشِدَّةٍ، وكلُّ شيءٍ تُعالِجُه فأنت تَكيدُه.

تَضْلِيلٍ: أي: تَضييعٍ وبُطلانٍ وذَهابٍ، وأصلُ (ضلل): يدُلُّ على ضَياعِ الشَّيءِ وذَهابِه في غيرِ حقِّه.

أَبَابِيلَ: أي: كثيرةً مُتفَرِّقةً يَتبَعُ بَعضُها بعضًا، كقَطيعِ الإبِلِ، قيل: واحِدُها إبَّالةٌ وإبُّولٌ وإبِّيلٌ. وقيل: هو جَمْعٌ لا واحِدَ له.

سِجِّيلٍ: أي: طينٍ مُتحَجِّرٍ، وقيل: أصلُها فارسيٌّ (سَنكِ وكِل) أي: الحَجَر والطِّين.

كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ: أي: كزَرعٍ وتِبْنٍ أكلَتْه الدَّوابُّ فراثَتْه، فيَبِسَ وتفرَّقَت أجزاؤُه، أو كوَرَقِ زَرْعٍ قد أكَلَتْ منه الدَّوابُّ وبَقِيَ منه بَقايا، أو أكَلَتْ حَبَّه فبَقِيَ بِدونِ حَبِّه، وقيل: المرادُ بالعَصفِ قِشرُ البُرِّ، يعني: الغِلافَ الَّذي تكونُ فيه حَبَّةُ القَمحِ. وأصلُ (عصف): يدُلُّ على خِفَّةٍ وسُرعةٍ.

* * *

تفسير الآيات:

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (1).

أي: ألم تَرَ –يا محمَّدُ– كيف فَعَل ربُّك بجَيشِ أَبرَهةَ الحَبَشيِّ مَلِكِ اليَمَنِ، الَّذين صَحِبوا الفِيلَ، واتَّجَهوا إلى مكَّةَ لهَدْمِ الكَعبةِ؟

عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((لَمَّا فَتَح اللهُ على رَسولِه – ﷺ – مَكَّةَ، قام في النَّاسِ فحَمِدَ اللهَ وأثنى عليه، ثمَّ قال: إنَّ اللهَ حَبَس عن مَكَّةَ الفِيلَ، وسَلَّط عليها رَسولَه والمؤمِنينَ، فإنَّها لا تَحِلُّ لأحدٍ كان قَبْلي، وإنَّها أُحِلَّت لي ساعةً مِن نهارٍ، وإنَّها لا تَحِلُّ لأحدٍ بَعْدي)).(80)

أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (2).

أي: ألم يَجعَلِ اللهُ سَعْيَهم في هَدْمِ الكَعبةِ، وصَرْفِ النَّاسِ عنها: في ضلالٍ وضَياعٍ؛ فلم يَتِمَّ لهم مَكْرُهم الَّذي اجتَهَدوا في حُصولِه؟

وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (3).

أي: وأرسَلَ اللهُ عليهم جماعاتٍ كثيرةً مُتفرِّقةً مِنَ الطُّيورِ يَتبَعُ بَعضُها بعضًا، فَوجًا بعْدَ فَوجٍ.

---

(80) رواه البخاريُّ (2434)، ومسلمٌ (1355) مطوَّلًا.

تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (4).

أي: تَرمي تلك الطُّيورُ أصحابَ الفِيلِ بحِجارةٍ مِن طينٍ صُلبٍ يابِسٍ.

فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (5).

أي: فجعَلَهم اللهُ مِثلَ زَرعٍ أكلَتْه الدَّوابُّ فراثَتْه، فيَبِسَ وتفرَّقَت أجزاؤُه!(81)

* * *

---

(81) اختُلف في قوله: ﴿كعصف مأكول﴾ على أقوال: الأول: أنه ورق الزرع المأكول اليابس.

الثاني: أنه قِشر الحِنطة إذا أُكل ما فيه.

الثالث: أنه الطعام.

وقد قال ابنُ جرير (٢٤/ ٦٤٣): «وقوله: ﴿فجعلهم كعصف مأكول﴾ يعني –تعالى ذِكْره–: فجعل الله أصحاب الفيل كزرع أكلته الدواب، فراثته، فيبس، وتفرّقتْ أجزاؤه؛ شبّه تقطع أوصالهم بالعقوبة التي نزلت بهم، وتفرّق آراب أبدانهم بها بتفرّق أجزاء الروث الذي حدث عن أكل الزرع».

ثم ذكر أقوال السلف في هذا.

وزاد ابنُ عطية (٨/ ٦٩١) قولًا عن الفراء أنه قال: «هو أطراف الزرع قبل أن يُسنبل».

تَفْسِيرُ
سُورَةِ قُرَيْش

سُورةُ قُرَيْش

سُورةُ قُرَيْش

سُمِّيَت هذه السُّورةُ بسُورةِ (قُرَيْش) ولِإِيلَافِ قُرَيْشٍ.(82)

سُورةُ قُرَيشٍ مكّيّةٌ، وحُكِيَ الإجماعُ على ذلك.(83)

مِن أهَمِّ مقاصِدِ هذه السُّورةِ:

تَذكيرُ أهْلِ مكَّةَ بجانبٍ مِن نِعَمِ اللهِ تعالى عليهم.

---

(82) سُمِّيَتِ السُّورةُ بالجملةِ الأولى منها، ولذِكرِ لَفظِ قُرَيشٍ في مَطلَعِها -ولم يَقَعْ في غيرِها- في قولِه: لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ.

يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (553/30).

(83) ممَّن نقلَ الإجماعَ على ذلك: ابنُ عطيَّةَ، والبِقاعيُّ.

يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (525/5)، ((مصاعد النظر)) للبقاعي (250/3).

ونسَب القولَ بأنَّها مكِّيَّةٌ إلى الأكثَرينَ: الماوَرْديُّ، ونسَبه إلى الجمهورِ: ابنُ الجوزيِّ، والقُرطُبيُّ، وأبو حيَّانَ.

يُنظر: ((تفسير الماوردي)) (345/6)، ((تفسير ابن الجوزي)) (493/4)، ((تفسير القرطبي)) (200/20)، ((تفسير أبي حيان)) (547/10).

ونُسِب القولُ بأنَّها مَدَنيَّةٌ إلى الضَّحَّاكِ، والكَلْبيِّ.

يُنظر المصادر السَّابقة.

قال ابنُ عطية (٨/ ٦٩٢): «وهي مكّيّة بلا خلاف».

مِن أهمِّ الموضوعاتِ الَّتي اشتَمَلَتْ عليها هذه السُّورةُ:

1- ذِكرُ المِنَّةِ على قُرَيشٍ، بأنَّ اللهَ مكَّنَ لهم السَّيْرَ في الأرضِ للتِّجارةِ برِحْلَتَيِ الشِّتاءِ والصَّيفِ.

2- تَحضِيضُهم على العِبادةِ، وشُكرِ الإحسانِ.

3- ذِكرُ المِنَّةِ عليهم بإطعامِهم مِن جُوعٍ، وتَأمِينِهم مِن المَخاوِفِ.

* * *

سُورةُ قُرَيْش

الآيات (1–4)

لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (1) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (2) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (3)

الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (4)

غريب الكلمات:

لِإِيلَافِ: أي: **لأُلْفَتِهم** واعتيادِهم، **والإيلافُ**: مَصدَرُ آلفْتُ الشَّيءَ: إذا لَزِمْتَه وتعوَّدْتَ عليه، وأصلُ **(ألف)**: يدُلُّ على انضمامِ الشَّيءِ إلى الشَّيءِ.

* * *

تفسير الآيات:

لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (1) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (2).

أي: لاجتِماعِ قَبيلةِ قُرَيشٍ واعتيادِهم كُلَّ عامٍ القيامَ برِحلةٍ في الشِّتاءِ إلى اليَمَنِ، ورِحلةٍ في الصَّيفِ إلى الشَّامِ للتِّجارةِ الَّتي كان بها قِوامُ عَيشِهم.(84)

---

(84) اختُلف في قوله: ﴿لإيلاف قريش إلافهم رحلة الشتاء والصيف﴾، وفي المعنى الجالب للام في قوله: ﴿لإيلاف﴾ على قولين: الأول: أنّ المعنى الجالب لها قوله: ﴿فجعلهم كعصف مأكول﴾ [الفيل: ٥]، فاللام صلة لـ ﴿جعلهم﴾، ومعنى الكلام: ففعلنا بأصحاب الفيل هذا الفعل، نعمة مِنّا على أهل هذا البيت، وإحسانًا مِنّا إليهم، إلى نعمتنا عليهم في رحلة الشتاء والصيف، أو يكون الامتنان عليهم بألفة بعضهم بعضًا.

الثاني: أن تكون اللام هاهنا للتعجب، والمعنى: اعجب –يا محمد– لِنعم الله على قريش، في إيلافهم رحلة الشتاء والصيف.

ثم قال: فلا يتشاغلوا بذلك عن الإيمان واتباعك.

وقد رجّح ابنُ جرير (٢٤/ ٦٤٩ – ٦٥١) –مستندًا إلى اللغة، وإلى آثار السلف– القول الثاني، فقال: «والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إنّ هذه اللام بمعنى التعجب، وأنّ معنى الكلام: اعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف، وترْكِهم عبادة ربّ هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف، فليعبدوا ربّ هذا البيت، الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف.

والعرب إذا جاءت بهذه اللام، فأدخلوها في الكلام للتعجب، اكتفوا بها دليلًا على التعجب من إظهار الفعل الذي يجلبها...

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل».

وذكر آثار السلف على هذا المعنى.

وانتقد (٢٤/ ٦٥٠) –مستندًا إلى اللغة، وإجماع المسلمين على أنّ السورتين منفصلتين– القول الأول، فقال: «وأمّا القول الذي قاله مَن حكينا قوله أنه من صلة قوله: ﴿فجعلهم كعصف مأكول﴾ فإنّ ذلك لو كان كذلك لوجب أن يكون ﴿لإيلاف﴾ بعض ﴿ألم تر﴾، وأن لا تكون سورة منفصلة من ﴿ألم تر﴾، وفي إجماع جميع المسلمين على أنهما سورتان تامتان كلّ واحدة منهما منفصلة عن الأخرى ما يبين عن فساد القول الذي قاله من قال ذلك، ولو كان قوله: ﴿لإيلاف قريش﴾ من صلة قوله: ﴿فجعلهم كعصف مأكول﴾ لم تكن ﴿ألم تر﴾ تامة حتى توصل بقوله: ﴿لإيلاف قريش﴾؛ لأنّ الكلام لا يتم إلا بانقضاء الخبر الذي ذكر».

فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (3).

أي: فلْيَعبُدوا اللهَ رَبَّ البَيتِ الحرامِ الَّذي جَعَل لهم بسَببِه خيرًا كثيرًا، فيَشكُروه بإخلاصِ العبادةِ له دونَ ما سِواه.

كما قال تعالى: إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ [النمل: 91].

الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (4).

الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ.

أي: الَّذي أطعَمَ قُرَيشًا مِنَ الجُوعِ، فكفاهم ذلك.

كما قال تعالى: وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ [البقرة: 126].

وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ.

أي: وآمَنَهم مِنَ الخَوفِ، فلا يَعتَدي عليهم أحدٌ.(85)

كما قال تعالى: إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا [آل عمران: 96-97].

وقال سُبحانَه: أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا [القصص: 57].

وقال عزَّ وجَلَّ: أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ [العنكبوت: 67].

* * *

---

(85) اختُلف في معنى قوله: ﴿وآمنهم من خوف﴾ على أقوال: الأول: آمنهم من خوف العرب أن يَسْبُوهم أو يقاتلوهم تعظيمًا لحُرمة الحَرَم.

الثاني: أمنهم مِن الجُذام.

الثالث: آمن قريشًا ألا تكون الخلافة إلا فيهم.

الرابع: أمنهم من خوف الحبشة مع الفيل.

ولم يذكر ابنُ جرير (٢٤/ ٦٥٦) سوى القولين الأولين، ورجّح العموم، فقال: «والصواب من القول في ذلك أن يُقال: إنّ الله -تعالى ذِكْره- أخبر أنه ﴿آمنهم من خوف﴾، والعدو مخوف منه، والجُذام مخوف منه، ولم يخصص الله الخبر عن أنه آمنهم من العدو دون الجذام، ولا من الجذام دون العدو، بل عمّ الخبر بذلك؛ فالصواب أن يعمّ كما عمّ -جلّ ثناؤه-، فيقال: أمنهم من المعنيين كليهما».

تَفْسِيرُ
سُورَةِ الماعُونِ

سُورةُ الماعُونِ

سُورةُ الماعُونِ

سُمِّيَت هذه السُّورةُ بسُورةِ (الماعُون).(86)

سُورةُ الماعُونِ مكِّيَّةٌ.(87)

---

(86) سمِّيَت بذلك؛ لذِكرِ لَفظِ الماعُونِ فيها دُونَ غيرِها، في قولِه: وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ.

يُنظر: ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (546/1)، ((تفسير ابن عاشور)) (563/30).

وتُسَمَّى أيضًا سورةَ (الدِّينِ)، و(أرَأَيْتَ)، و(التَّكذيبِ)، و(اليتيمِ).

يُنظر: ((صحيح البخاري)) (177/6)، ((جمال القراء وكمال الإقراء)) لعلم الدين السخاوي (ص: 93)، ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (548/1)، ((الإتقان في علوم القرآن)) للسيوطي (196/1)، ((تفسير ابن عاشور)) (563/30).

(87) ونَسَبَه للجُمهورِ: ابنُ الجَوزيِّ، وأبو حيَّانَ.

وقِيلَ: مَدَنيَّةٌ، ونُسِبَ إلى ابنِ عبَّاسٍ وقَتادةَ، واختاره القاسِميُّ.

يُنظر: ((تفسير ابن الجوزي)) (495/4)، ((تفسير أبي حيان)) (552/10)، ((تفسير القاسمي)) (552/9).

وقيل: مكِّيَّةٌ، ثلاثُ آياتٍ الأُوَلُ، مدَنيَّةُ البَقيَّةِ.

وممَّن اختاره: الزمخشريُّ، وابنُ جُزَي، والفيروزابادي، والسيوطي.

يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (803/4)، ((تفسير ابن جزي)) (516/2)، ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (104/1)، ((الإتقان في علوم القرآن)) للسيوطي (68/1).

قال ابنُ عطية (٨/ ٦٩٥): «وهي مكّيّة بلا خلاف علمته، وقال الثعلبي: هي مدنية».

مِن أهَمِّ مقاصِدِ هذه السُّورةِ:

التَعجِيبُ مِن حالِ المُكذِّبينَ بالبَعثِ، وتَفظِيعُ أعمالِهم.

مِن أهمِّ الموضوعاتِ الَّتي اشتَمَلَتْ عليها هذه السُّورةُ:

1- التَّعجِيبُ مِن حالِ مَن كذَّبُوا بالبَعثِ.

2- الشّكايةُ مِن الجافِينَ على الأيتامِ والمَساكِينِ.

3- ذَمُّ السَّاهِينَ عن الصَّلاةِ والمُرائِينَ فيها، والمانِعينَ النَّفْعَ والمَعُونةَ عن النَّاسِ.

* * *

سُورةُ الماعُونِ

الآيات (1–7)

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (1) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (2) وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ

الْمِسْكِينِ (3) فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (4) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (5) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ

(6) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (7)

غريب الكلمات:

بِالدِّينِ: أي: بالجزاءِ والحساب، يُقالُ: دِنْتُه بما صَنَع، أي: جازَيْتُه، وأصلُ (دين): جِنْسٌ مِن الانْقِيادِ، والذُّلِّ.

يَدُعُّ: أي: يَدفَعُ بشِدَّةٍ، والدَّعُّ في اللُّغةِ: الدَّفعُ في قَسوةٍ وعُنفٍ، وأصلُ (دعع): يدُلُّ على دَفعٍ.

يَحُضُّ: أي: يَحُثُّ ويأمُرُ، والحَضُّ: الحَثُّ، وهو أن تَطلُبَ مِن غَيرِك فِعلًا بتأكيدٍ، وتُلِحَّ في ذلك الطَّلبِ، وأصلُ (حضض): يدُلُّ على البَعْثِ على الشَّيءِ.

فَوَيْلٌ: أي: عَذابٌ وهَلاكٌ. وقيلَ: وَيلٌ: وادٍ في جهنَّمَ.

سَاهُونَ: أي: لاهُون مُتشاغِلونَ، وأصلُ (سهو): يدُلُّ على الغَفْلةِ والسُّكونِ.

يُرَاءُونَ: أي: لا يُريدونَ اللهَ بأعمالِهم، يُقالُ: راءى فُلانٌ يُرائي، وفَعَل ذلك رِئاءَ النَّاسِ: وهو أن يَفعَلَ شيئًا لِيَراه النَّاسُ.

الْمَاعُونَ: أي: كُلَّ ما يُستعانُ به ويُنتَفَعُ به، كالفأسِ والدَّلْوِ ونَحوِهما مِن مَتاعِ البَيتِ اليَسيرِ، والماعونُ: فاعُولٌ مِنَ المَعْنِ: وهو الشَّيءُ القَليلُ.

* * *

تفسير الآيات:

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (1).

أي: أرأيتَ -يا محمَّدُ- الَّذي يُكذِّبُ بوُقوعِ الجزاءِ ثوابًا وعِقابًا يومَ القيامةِ، فهو لا يُطيعُ اللهَ بفِعلِ أوامِرِه واجتنابِ نواهيه؟

فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (2).

أي: فذلك مِن صِفَتِه أنَّه يدفَعُ اليتيمَ بشِدَّةٍ وعُنفٍ، ولا يُكرِمُه.

كما قال تعالى: كَلَّا بَل لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ [الفجر: 17].

وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (3).

أي: ولا يَحُثُّ الآخَرينَ على إطعامِ المِسكينِ المحتاجِ للطَّعامِ.

كما قال تعالى: وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ [الفجر: 18].

فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (4) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (5).

أي: فعَذابٌ وهَلاكٌ للمُصَلِّينَ الَّذين هم عن صَلاتِهم لاهُون مُتشاغِلونَ؛ فلا يُحافِظونَ على أدائِها في أوقاتِها، إنَّما يُؤخِّرونَها حتَّى يَخرُجَ الوقتُ، ويُخِلُّونَ بشُروطِها وأركانِها وواجِباتِها.(88)

كما قال تعالى: إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا [النساء: 142].

---

(88) اختُلف في قوله: ﴿الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ على أقوال: الأول: يؤخِّرونها عن وقتها، فلا يُصلُّونها إلا بعد خروج وقتها.

الثاني: يتركونها فلا يُصلُّونها.

الثالث: يتهاونون بها، ويتغافلون عنها ويلهون.

وقد رجّح ابنُ جرير (٢٤/ ٦٦٣) -مستندًا إلى السنة- القول الثالث بقوله: «وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب بقوله: ﴿ساهون﴾ لاهون يتغافلون عنها».

ثم بيّن أنّ هذا القول يَعمُّ القولين الآخرين، فقال: «وفي اللهو عنها والتشاغل بغيرها، تضييعها أحيانًا، وتضييع وقتها أخرى.

وإذا كان ذلك كذلك صحّ بذلك قول مَن قال: عني بذلك: ترْك وقتها.

وقول مَن قال: عني به: ترْكها.

لما ذكرتُ من أنّ في السهو عنها المعاني التي ذكرت».

واستدل ابنُ جرير لهذا بالأثرين الواردين عن رسول الله - ﷺ - عن أبي برزة وسعد بن أبي وقاص في تفسير الآية، ثم علّق قائلًا: «وكلا المعنيين اللذين ذكرتُ في الخبرين اللذين روينا عن رسول الله - ﷺ - محتمل عن معنى السهو عن الصلاة».

وبنحوه ابنُ كثير (١٤/ ٤٦٨ - ٤٦٩)، فقال: «اللفظ يشمل هذا كلّه، ولكلّ من اتصف بشيء مِن ذلك قسطٌ من هذه الآية، ومَن اتصف بجميع ذلك فقد تمّ نصيبه منها، وكمل له النفاق العملي».

ورجّح ابنُ تيمية (٧/ ١٩١ - ١٩٢) -مستندًا إلى السنة- أنّ الآية تعمّ القولين الأول والثالث، فقال: «وكلا المعنيين حقّ، والآية تتناول هذا وهذا، كما في صحيح مسلم عن أنس عن النبي - ﷺ - أنه قال: «تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني شيطان قام فنقرها أربعًا، لا يذكر الله فيها إلا قليلًا»».

ووافقه ابنُ القيم (٣/ ٣٧٠ بتصرف) مستندًا إلى الدلالة العقلية، وعلَّل ذلك بقوله: «فإنه سبحانه أثبت لهم صلاة، ووصفهم بالسهو عنها، فهو السهو عن وقتها الواجب، أو عن إخلاصها وحضورها الواجب».

وانتقد القول الثاني مستندًا إلى الدلالة العقلية، والسياق، فقال: «وليس السهو عنها تركها، وإلا لم يكونوا مُصلِّين، وأيضًا فإنه وصفهم بالرياء، ولو كان السهو سهو ترْك لما كان هناك رياء».

وقال سُبحانَه: وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ [التوبة: 54].

وقال عزَّ وجَلَّ: فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا [مريم: 59].

الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (6).

أي: الَّذين هم يُراؤُونَ النَّاسَ بصَلاتِهم إذا صَلَّوا أمامَهم، فلا يُصَلُّونَ إخلاصًا للهِ تعالى، ورغبةً في ثَوابِه، ورهبةً مِن عِقابِه، وإنَّما يُصَلُّونها لِيَراهم المؤمِنونَ؛ طَلَبًا لثَناءٍ، أو رجاءً لنَفعٍ.

وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (7).

أي: ويَمنَعونَ النَّاسَ مِنَ الانْتِفاعِ بما لَدَيهم، ممَّا لا يَتَضرَّرونَ ببَذْلِه، فلا يُعينونَهم بإعارتِه.(89)

* * *

---

(89) اختُلف في المراد بالماعون على أقوال: الأول: الزكاة.

الثاني: ما يتعاوره الناسُ بينهم مِن مثل الدّلو والقِدْر ونحو ذلك.

الثالث: المعروف.

الرابع: المال.

قال ابنُ جرير (٢٤/ ٦٦٥) مستندًا إلى اللغة: "وقوله: ﴿ويمنعون الماعون﴾ يقول: ويمنعون الناس منافع ما عندهم، وأصل الماعون من كل شيء منفعته؛ يقال للماء الذي ينزل من السحاب: ماعون؛ ومنه قول أعشى بني ثعلبة:

بأجود منه بماعونه إذا ما سماؤهم لم تغم

ثم ذكر اختلاف السلف في المراد به في هذا الموضع، ثم رجّح (٢٤/ ٦٧٨) العموم، فقال: «وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب، إذ كان الماعون هو ما وصفنا قبل، وكان الله قد أخبر عن هؤلاء القوم، وأنهم يمنعونه الناس، خبرًا عامًا، من غير أن يخص من ذلك شيئًا؛ أن يقال: إنّ الله وصفهم بأنهم يمنعون الناس ما يتعاورونه بينهم، ويمنعون أهل الحاجة والمسكنة ما أوجب الله لهم في أموالهم من الحقوق؛ لأنّ كل ذلك من المنافع التي ينتفع بها الناس بعضهم من بعض».

وذكر ابنُ كثير (١٤/ ٤٧٤) قول عكرمة: «رأس الماعون: زكاة المال، وأدناه: المُنخُل، والدّلو، والإبرة».

ثم علّق قائلًا: «وهذا الذي قاله عكرمة حسن؛ فإنه يشمل الأقوال كلّها، وترجع كلّها إلى شيء واحد، وهو ترْك المعاونة بمال أو منفعة.

ولهذا قال محمد بن كعب: ﴿ويمنعون الماعون﴾، قال: المعروف.

ولهذا جاء في الحديث: «كلّ معروف صدقة»».

تَفْسِيرُ

سُورَةِ الكَوْثَرِ

سُورةُ الكَوْثرِ

سُورةُ الكَوْثَرِ

سُمِّيت هذه السُّورةُ بسُورةِ (الكَوْثَرِ).(90)

سُورةُ الكَوْثرِ مَدنيَّةٌ، وقِيلَ: مكِّيَّةٌ.(91)

---

(90) سُمِّيت هذه السُّورةُ بذلك؛ لافتِتاحِها بذِكْرِ الكَوثرِ في قولِه: إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ.

يُنظر: ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (547/1).

وسُمِّيَتْ أيضًا: سورةَ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ، وسورة (النَّحْرِ).

يُنظر: ((صحيح البخاري)) (178/6)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (287/22)، ((تفسير ابن عاشور)) (571/30).

(91) ممَّن اختار القولَ بأنَّها مَدَنيَّةٌ: ابنُ كثير، وابنُ حَجَر، والسيوطيُّ، وابنُ عاشور.

يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (498/8)، ((فتح الباري)) لابن حجر (41/9)، ((الإتقان في علوم القرآن)) للسيوطي (55/1)، ((تفسير ابن عاشور)) (572/30).

والقولُ بأنَّها مكِّيَّةٌ نَسبَهُ للجُمهورِ: ابنُ الجَوزيِّ، وأبو حيَّانَ، وابنُ عاشور.

يُنظر: ((تفسير ابن الجوزي)) (497/4)، ((تفسير أبي حيان)) (555/10)، ((تفسير ابن عاشور)) (571/30).

قال ابنُ عاشور: (وهل هي مكِّيَّةٌ أو مَدَنيَّةٌ؟ تَعارضَت الأقوالُ والآثارُ في أنَّها مكِّيَّةٌ أو مدَنيَّةٌ تَعارُضًا شَديدًا، فهي مكِّيَّةٌ عند الجُمهورِ، واقتَصرَ عليه أكثرُ المُفسِّرينَ،...

وعن الحسَنِ وقَتادةَ ومُجاهِدٍ وعِكْرِمةَ: هي مدَنيَّةٌ، ويَشهَدُ لهم ما في «صحيح مسلم» عن أنسِ بنِ مالكٍ: «بَيْنا رَسولُ اللهِ ذاتَ يَومٍ بيْن أَظهُرِنا إذ أَغفَى إغفاءَةً ثمَّ رَفعَ رأسَه وقال: أُنزِلَت علَيَّ آنِفًا سُورةٌ، فقرأ: بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ: إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ [الكوثر: 1– 3]...» الحديث.

وأنَسٌ أسْلَمَ في صَدرِ الهِجرةِ، فإذا كان لفظُ «آنِفًا» في كلامِ النَّبيِّ – ﷺ – مُستعمَلًا في ظاهرِ مَعناهُ –وهو الزَّمنُ القريبُ– فالسُّورةُ نزلَت منذ وَقتٍ قَريبٍ مِن حُصولِ تلك الرُّؤيا.

مِن أهَمّ مقاصِدِ هذه السُّورةِ:

بِشارَةُ النَّبيّ - ﷺ - بالخَيرِ الجَزيلِ مِن اللهِ.

مِن أهمِّ الموضوعاتِ الَّتي اشتَمَلَتْ عليها هذه السُّورةُ:

1- بَيانُ المِنَّةِ على النَّبيِّ - ﷺ - بأنَّه أُعطِيَ الخيرَ الكثيرَ.

2- أَمْرُ النَّبيِّ - ﷺ - بأنْ يَشكُرَ اللهَ على ذلك بالإقبالِ على العِبادَةِ.

3- إخبارُه - ﷺ - بأنَّ مُبْغِضَه مُنقَطِعٌ عن كلِّ خَيرٍ.

* * *

ومُقتضَى ما يُروَى في تَفسيرِ قولِه تعالى: إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ أن تكونَ السُّورةُ مكِّيَّةً، ومُقتضَى ظاهِرِ تَفسيرِ قولِه تعالى: وَانْحَرْ مِن أنَّ النَّحرَ في الحجِّ أو يومَ الأضحَى تكونُ السُّورةُ مدَنيَّةً، ويَبعَثُ على أنَّ قولَه تعالى: إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ليس ردًّا على كلامِ العاصي بنِ وائلٍ...).

((تفسير ابن عاشور)) (30/571، 572).

وقال البِقاعي: (حديثُ...

أنسٍ رضيَ اللهُ عنه يدُلُّ على أنَّها مدَنيَّةٌ؛ لقولِه: «بيْنَ أَظهُرِنا في المَسجِدِ» [مسلم (400)]).

((مصاعد النظر)) (3/255).

سُورةُ الكَوْثَرِ

الآيات (1–3)

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (1) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (2) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (3)

غريب الكلمات:

الْكَوْثَرَ: أي: الخَيرَ الكَثيرَ، والنَّهرَ الَّذي تَرِدُه أُمَّتُه - ﷺ - في القيامةِ، والكَوثَرُ: فَوعَلٌ، مِنَ الكَثرةِ، وأصلُ (كثر): يدُلُّ على خِلافِ القِلَّةِ.

وَانْحَرْ: أي: اذبَحْ، والنَّحرُ: مَوضِعُ القِلادةِ مِن الصَّدرِ، ونَحَرْتُه: أصَبْتُ نَحْرَه، ومنه: نحرُ البعيرِ، ويُقالُ لذَبْحِ البَعيرِ: النَّحْرُ؛ لأنَّ مَنحَرَه في صَدْرِه.

شَانِئَكَ: أي: مُبغِضَك وعَدُوَّك، وأصلُ (شنأ): يدُلُّ على البُغضِ والتَّجَنُّبِ للشَّيءِ.

الْأَبْتَرُ: المُنقَطِعُ عن الخَيرِ، وأصلُ (بتر): يدُلُّ على القَطْعِ.

* * *

تفسير الآيات:

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (1).

أي: إنَّا أعطيناك -يا محمَّدُ- نَهرًا في الجنَّةِ اسمُه الكَوثَرُ.(92)

عن أنَسٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((لَمَّا عُرِجَ بالنَّبيِّ - ﷺ - إلى السَّماءِ قال: أُتِيتُ على نَهرٍ حافَتاه قِبابُ اللُّؤلؤِ مُجَوَّفًا، فقُلتُ: ما هذا يا جِبريلُ؟! قال: هذا الكَوثَرُ)).(93)

وعن أنَسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((بَيْنا رسولُ اللهِ - ﷺ - ذاتَ يومٍ بيْنَ أظهُرِنا إذ أغفى إغفاءةً،(94) ثمَّ رَفَع رأسَه مُتبَسِّمًا! فقُلْنا: ما أضحَكَك يا رَسولَ اللهِ؟! قال: أُنزِلَت علَيَّ آنفًا سُورةٌ،

---

(92) اختُلف في معنى: ﴿الكوثر﴾ في هذه الآية على أقوال: الأول: أنه نهر في الجنة.

الثاني: أنه الخير الكثير.

الثالث: حوض أُعْطِيَهُ رسول الله في الجنة.

الرابع: النبوة.

الخامس: القرآن.

السادس: كثرة أتباع النبي، وأُمّته.

ووجَّه ابنُ كثير (١٤/ ٤٧٩) القول الثاني بقوله: «وهذا التفسير يعمُّ النهر وغيره؛ لأنّ الكوثر من الكثرة، وهو الخير الكثير، ومن ذلك النهر، كما قال ابن عباس، وعكرمة، وسعيد بن جُبَير، ومجاهد، ومُحارب بن دِثار، والحسن بن أبي الحسن البصري. حتى قال مجاهد: هو الخير الكثير في الدنيا والآخرة».

ورجَّح ابنُ جرير (٢٤/ ٦٨٥) القول الأول مستندًا إلى السنة، وهو قول حُذيفة بن اليمان، وعائشة، وما في معناه، وعلَّل ذلك بقوله: «لتتابع الأخبار عن رسول الله بأنّ ذلك كذلك».

ثم ذكر حديث أنس بن مالك، وابن عمر، وأسامة بن زيد.

(93) رواه البخاري (4964).

(94) أَغْفى إغْفاءةً: نامَ نَوْمًا خَفيفًا.

فقرأ: بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ، ثمَّ قال: أتَدْرُونَ ما الكَوثَرُ؟ فقُلْنا: اللهُ ورَسولُه أعلَمُ. قال: فإنَّه نَهرٌ وعَدَنِيه ربِّي عزَّ وجَلَّ، عليه خَيرٌ كثيرٌ، هو حَوضٌ تَرِدُ عليه أُمَّتي يومَ القيامةِ،(95) آنيَتُه عدَدُ النُّجومِ، فيُختَلَجُ(96) العَبدُ منهم، فأقولُ: ربِّ إنَّه مِن أُمَّتي! فيَقولُ: ما تدري ما أحدَثَت بَعْدَك!)).(97)

فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (2).

أي: فاشكُرِ اللّهَ تعالى –يا محمَّدُ– على الكَوثرِ الَّذي أعطاك، بأن تُصَلِّيَ مُخلِصًا له، وأن تَنحَرَ له وَحْدَه دونَ ما سِواه.(98)

يُنظر: ((فتح الباري)) لابن حجر (163/1).

(95) قال ابن كثير: (ومعنَى ذلك: أنَّه يَشْخبُ [أي يسيلُ ويجري] مِن الكوثَرِ –وهو في الجنَّةِ– ميزابانِ إلى الحوضِ، والحوضُ في موقفِ القيامةِ قبلَ الصِّراطِ؛ لأنَّه يُخْتَلَجُ عنه، ويُمْنَعُ منه أقوامٌ قد ارْتَدُّوا على أعقابِهم...، وجاء مُصَرَّحًا به أنَّه في العَرَصاتِ...، وأمَّا الكوثَرُ فإنَّه نَهرٌ في الجنَّةِ).

((البداية والنهاية)) (426/19).

(96) يُختلَجُ: أي: يُنتزَعُ ويُقتطَعُ.

يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (113/4).

(97) رواه مسلم (400).

(98) اختُلف في معنى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وانْحَرْ﴾ على أقوال: الأول: حضَّ الله نبيَّه على الصلاة المكتوبة، وعلى الحفاظ عليها في أوقاتها بقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وانْحَرْ﴾.

الثاني: عُنِيَ بقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ المكتوبة، وبقوله: ﴿وانْحَرْ﴾ أن يرفع يديه إلى النَّحر عند افتتاح الصلاة والدخول فيها.

الثالث: ضع يدك اليمين على الشمال، ثم ضعهما على صدرك في الصلاة.

الرابع: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ المكتوبة، ﴿وانحَر﴾ نَحْر البدن.

الخامس: صلِّ يوم النَّحر صلاة العيد، وانحر نُسكك.

السادس: قيل ذلك للنبي لأنّ قومًا كانوا يُصلُّون لغير الله، ويَنحَرون لغيره، فقيل له: اجعل صلاتك ونَحْرك لله، إذ كان من يكفر بالله يجعله لغيره.

السابع: أُنزلَتْ هذه الآية يوم الحُدَيْبِية، حين حُصِر النبي وأصحابه وصُدُّوا عن البيت، فأمره الله أن يُصلّي، ويَنحَر البُدْن، ويَنصَرِف، ففعَل.

الثامن: استقبل القِبلة بنَحْرك.

التاسع: فصلِّ وادعُ ربَّكَ وسَلْهُ.

ووجَّه ابنُ عطية (٨/ ٧٠٠) القول الثالث بقوله: «فالنَّحر -على هذا- ليس بمصدر نَحَرَ، بل هو الصدر».

وعلَّق عليه ابنُ كثير (١٤/ ٤٨١) بقوله: «يُروى هذا عن علي، ولا يصح».

وعلَّق ابنُ عطية على القول السابع بقوله: «وعلى هذا تكون الآية من المدني».

ورجَّح ابنُ جرير (٢٤/ ٦٩٦) -مستندًا إلى السياق والدلالة العقلية- القول السادس وهو قول محمد بن كعب القُرَظيّ، فذكر أنّ الصواب: «فاجعل صلاتك كلَّها لربِّك خالصًا دون ما سواه من الأنداد والآلهة، وكذلك نَحْرُك، اجْعَلْه له دون الأوثان، شكرًا له على ما أعطاك من الكرامة والخير الذي لا كُفْءَ له، وخصَّك به، من إعطائه إيّاك الكوثر».

وعلَّل ذلك بقوله: «لأنّ الله -جلّ ثناؤه- أخبر نبيّه بما أكرمه به مِن عطيَّتِه وكرامتِه وإنعامه عليه بالكوثر، ثم أتبع ذلك قولَه: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وانْحَرْ﴾، فكان معلومًا بذلك أنه خصّه بالصلاة له، والنَّحر على الشكر له، على ما أعْلَمه من النعمة التي أنعمها عليه، بإعطائه إيّاه الكوثر، فلم يكن لخصوص بعض الصلاة بذلك دون بعضٍ، وبعض النحر دون بعضٍ وجهٌ، إذ كان حثًّا على الشكر على النعم».

وعلَّق ابنُ كثير (١٤/ ٤٨٢) على ترجيح ابن جرير بقوله: «وهذا الذي قاله في غاية الحُسن، وقد سبقه إلى هذا المعنى: محمد بن كعب القُرَظيّ، وعطاء».

وذكر ابنُ عطية (٨/ ٦٩٩) أنّ النَّحر: «نَحْر الهدي والنُّسك في الضحايا في قول جمهور الناس».

ثم وجَّهه بقوله: «فكأنه تعالى قال: ليكن شغلك هذين، ولم يكن في ذلك الوقت جهاد».

ورجَّح ابنُ كثير (١٤/ ٤٨٢) «أنّ المراد بالنَّحر: ذبح المناسك؛ ولهذا كان رسول الله يُصلِّي العيد، ثم يَنحَر نُسكه، ويقول: «مَن صَلّى صلاتنا، ونَسك نُسكنا، فقد أصاب النُّسك، ومَن نَسك قبل الصلاة فلا نُسك له».

فقام أبو بردة بن نيار فقال: يا رسول الله، إني نَسكتُ شاتي قبل الصلاة، وعرفتُ أنّ اليوم يوم يُشتهى فيه اللحم.

قال: «شاتك شاة لحم».

قال: فإنّ عندي عَناقًا هي أحبّ إليّ من شاتين، أفتجزئ عني؟ قال: «تجزئك، ولا تجزئ أحدًا بعدك»».

وعلَّق ابنُ كثير (١٤/ ٤٨٢) على القول الثاني والثالث والثامن قائلًا: «وكلّ هذه الأقوال غريبة جدًّا».

كما قال تعالى: قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ [الأنعام: 162-163].

إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (3).

أي: إنَّ مُبغِضَك -يا محمَّدُ- هو المنقَطِعُ عن كلِّ خَيرٍ، ومِن ذلك حُسنُ الذِّكْرِ.(99)

* * *

---

(99) اختُلف في المعنيِّ بهذه الآية على أقوال: الأول: العاص بن وائل السهمي.

الثاني: عُقبة بن أبي مُعَيط.

الثالث: أبو لهب.

الرابع: أبو جهل.

الخامس: جماعة من قريش.

ورجَّح ابنُ جرير (٢٤/ ٧٠٠، ٧٠١) العموم، فقال: «وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يُقال: إنّ الله -تعالى ذِكره- أخبر أنّ مُبْغِض رسول الله هو الأقلُّ الأذلُّ، المنقطعُ عَقِبُه، فذلك صفة كلِّ مَن أبْغَضه من الناس، وإنْ كانت الآية نزلت في شخص بعينه».

تَفْسِيرُ
سُورَةِ الكافِرُونَ

سُورةُ الكافِرُونَ

سُورةُ الكافِرُونَ

سُمِّيَت هذه السُّورةُ بسُورةِ الكافِرونَ.(100)

وسُمِّيَت أيضًا بسُورةِ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ؛(101) فعن عبدِ اللهِ بنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: ((كان رسولُ اللهِ – ﷺ – يُوتِرُ بثَلاثٍ، يَقرأُ في الأولى بـ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى، وفي الثَّانيةِ بـ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، وفي الثَّالثةِ بـ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)).(102)

---

(100) سُمِّيت هذه السُّورةُ بذلك؛ لوُقوعِ لَفظِ الْكَافِرُونَ في فاتِحَتِها في قَولِه: قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ.

يُنظر: ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (1/584)، ((تفسير ابن عاشور)) (30/579).

(101) وسُمِّيت أيضًا: سورةَ الكافِرين –على أنَّ المرادَ: سورةُ ذِكْرِ الكافِرين، أو نداءِ الكافِرين–، وسورةَ الإخلاصِ، وسورةَ العبادةِ، وسورةَ الدِّينِ؛ لقولِه: وَلِيَ دِينِ.

يُنظر: ((جمال القراء)) لعلم الدين السخاوي (ص: 94)، ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (1/548)، ((تفسير الألوسي)) (15/484)، ((تفسير ابن عاشور)) (30/579).

(102) أخرجه الترمذيُّ (462)، والنَّسائيُّ (1702) واللَّفظُ له، وابنُ ماجه (1172)، وأحمدُ (2720).

صحَّح إسنادَه النَّوويُّ في ((الخلاصة)) (1/556)، وابنُ الملقِّنِ في ((البدر المنير)) (4/338)، وصحَّحه الألبانيُّ في ((صحيح سنن النسائي)) (1702).

فضائل السورة وخصائصها:

1- كان النَّبيُّ - ﷺ - يقرأُ بها في الرَّكعةِ الثَّانيةِ مِن الرَّكعتَينِ قبلَ الوترِ:

كما في حديثِ عبدِ اللهِ بنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما، المتقدِّمِ.

2- كان النَّبيُّ - ﷺ - يقرأُ بها وبـ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ في رَكعتَيِ الفَجرِ:

عن أبي هُرَيرةَ رضيَ اللهُ عنه: ((أنَّ رَسولَ اللهِ - ﷺ - قرَأَ في رَكعتَيِ الفَجرِ: قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ وقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ))(103).

وعن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها، قالت: كان رسولُ اللهِ - ﷺ - يُصلِّي... ركعتَينِ قبْلَ الفَجرِ، وكان يقولُ: ((نِعْمَ السُّورَتانِ هُما، تَقرَؤُونَهما في الرَّكعَتَينِ قبْلَ الفَجرِ: قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، وقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ))(104).

3- سَمِعَ النَّبيُّ - ﷺ - رجُلًا يَقرأُ بها في الرَّكعةِ الأُولى مِن رَكعتَيِ الفَجرِ فامْتَدَحَهُ:

---

(103) أخرجه مسلم (726).

(104) أخرجه ابنُ ماجه (1150)، وأحمدُ (26022) واللَّفظُ له، وابنُ حِبَّانَ في ((صحيحه)) (2461).
صحَّحه ابنُ حِبَّانَ، والألبانيُّ في ((صحيح ابن ماجه)) (950)، وشعيبٌ الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (149/43).

عن جابرٍ رضـــيَ الله عنه: ((أنَّ رجلًا قامَ فركَعَ رَكعتَيِ الفَجرِ فَقرأَ في الرَّكعةِ الأُولى: قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ حتَّى انْقَضَت السُّورةُ، فقال النَّبيُّ - ﷺ -: هذا عَبدٌ عَرَف رَبَّه. وقرأَ في الآخرةِ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ حتَّى انقضَت السُّورةُ، فقال النَّبيُّ - ﷺ -: هذا عَبدٌ آمَنَ بربِّه)).(105)

4- يُستَحَبُّ قِراءتُها عندَ النَّومِ، وهي بَراءَةٌ مِن الشِّرْكِ:

عن نَوْفَلٍ الأَشْـــجَعيِّ رضـــيَ الله عنه: ((أنَّ النَّبيَّ - ﷺ - قال له: اقرَأْ عندَ مَنامِك قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، قال: ثُمَّ نَمْ على خاتِمَتِها؛ فإنَّها بَراءَةٌ مِن الشِّرْكِ)).(106)

سُورةُ الكافِرونَ مكِّيَّةٌ، وحُكِيَ الإجماعُ على ذلك.(107)

---

(105) أخرجه الطَّحاويُّ في ((شرح معاني الآثار)) (1774)، وابنُ حِبَّانَ (2460)، والبَيْهَقيُّ في ((شُعَب الإيمان)) (2524).
صـحَّحه ابنُ حِبَّانَ، وحسَّـنه ابنُ حجر في ((نتائج الأفكار)) (489/1)، وجوَّد إسـنادَه الألبانيُّ في ((أصـل صـفة الصـلاة)) (456/2)، وقوَّى إسنادَه شعيبٌ الأرناؤوط في تخريج ((صحيح ابن حبان)) (2460).

(106) أخرجه أبو داودَ (5055)، والترمذيُّ (3403)، والنَّسـائيُّ في ((السـنن الكبرى)) (10637)، وأحمدُ (23807) واللَّفظُ له.
صـحَّحه ابنُ حِبَّانَ في ((صـحيحه)) (5526)، والألبانيُّ في ((صـحيح سنن أبي داود)) (5055)، وحسَّنه ابنُ حجر في ((نتائج الأفكار)) (61/3)، وقال شُعيبٌ الأرناؤوطُ في تخريجِ ((سنن أبي داود)) (5055): (حسنٌ على اضطرابٍ في إسنادِه).وقال شُعيبٌ الأرناؤوطُ في تخريجِ ((سنن أبي داود)) (5055): (حسنٌ على اضطرابٍ في إسنادِه).
وصحَّحَ إسنادَه الحاكمُ في ((المستدرك)) (2077).

(107) ممَّن نقَل الإجماعَ على ذلك: ابنُ عطيَّة.
يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (497/5).
ونسَب القولَ بأنَّها مكِّيَّةٌ إلى الجمهورِ: ابنُ الجَوزيّ، وأبو حَيَّانَ.
يُنظر: ((تفسير ابن الجوزي)) (499/4)، ((تفسير أبي حيان)) (558/10).
ورُوِيَ عن قَتادةَ أنَّها مَدَنيَّةٌ.

مِن أهَمِّ مقاصِدِ هذه السُّورةِ:

البَراءةُ المُطلَقةُ بيْنَ الموحِّدِينَ والمُشرِكين.

مِن أهمِّ الموضوعاتِ الَّتي اشتَمَلَتْ عليها السُّورةُ:

أمْرُ الله تعالى نبيَّه - ﷺ - أن يُعلِنَ بَراءَتَه مِن الكافِرين، وأن يَنفِيَ عِبادتَه لمَعبُوداتِهم الباطِلةِ، ويَنفِيَ أن يَكونوا عابِدينَ للإلهِ الحقِّ الَّذي يَعبُدُه، وأن يُعلِنَ بَراءتَه مِن دِينِهم، فلَهُم دِينُهم وله دِينُه.

* * *

يُنظر: المصدران السَّابقان.

سُورةُ الكافِرُونَ

الآيات (1–6)

قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (1) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (2) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (3) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (4) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (5) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (6)

تفسير الآيات:

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (1)﴾.

أي: قُلْ -يا محمَّدُ- لجَميعِ الكافِرينَ باللهِ، ما داموا متَّصِفينَ بالكُفرِ وثابِتينَ عليه: يا أيُّها الكافِرونَ باللهِ.[108]

﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (2)﴾.

أي: لا أعبُدُ ما تَعبُدونَه الآنَ مِن مَعبوداتٍ باطِلةٍ، صِفاتُها ناقِصةٌ؛ فليست أهلًا لعبادتِها.

---

[108] انتقد ابنُ تيمية (٧/ ٢١٦) -مستندًا إلى أقوال السلف، والدلالة العقلية- مَن جعل الخطاب في السورة لمُعَيَّنين، قائلًا:

«وهذا غلط، فإنّ قوله: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ﴾ خطاب لكلّ كافر، وكان يقرأ بها في المدينة بعد موت أولئك المُعيّنين، ويأمر بها ويقول: هي براءة من الشرك، فلو كانت خطابًا لأولئك المُعَيّنين، أو لمن علم منهم أنه يموت كافرًا، لم يخاطب بها مَن لم يعلم ذلك منه.

وأيضًا فأولئك المُعَيَّنون إن صحّ أنه إنما خاطبهم فلم يكن إذ ذاك علم أنهم يموتون على الكفر.

والقول بأنه إنما خاطب بها مُعَيّنين قول لم يقله مَن يعتمد عليه، ولكن قد قال مقاتل بن سليمان: إنها نزلت في أبي جهل والمستهزئين، ولم يؤمن من الذين نزلت فيهم أحد.

ونَقْلُ مقاتل وحده مما لا يُعتَمد عليه باتفاق أهل الحديث، كنقل الكلبي، ولهذا كان المُصنِّفون في التفسير من أهل النقل لا يذكرون عن واحد منهما شيئًا كمحمد بن جرير، وعبد الرحمن بن أبي حاتم، وأبي بكر بن المنذر فضلًا عن مثل أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وقد ذكر غيره هذا عن قريش مطلقًا».

ثم ذكر الأثر الثاني في سبب نزول السورة الوارد عن ابن عباس، والأثر الذي يليه عن وهب بن منبه، ثم ذكر الحديث الوارد في الآثار المتعلقة بالسورة مِن رواية نَوْفَل بن معاوية الأشجعيّ في أنّ سورة الكافرون براءة من الشرك، ثم علَّق عليه بقوله: «فقد أمر رسول الله واحدًا مِن المسلمين أن يقرأها، وأخبره أنها براءة من الشّرك، فلو كان الخطاب لِمَن يموت على الشّرك كانت براءة من دين أولئك فقط، لم تكن براءة من الشّرك الذي يسلم صاحبه فيما بعد، ومعلوم أنّ المقصود منها أن تكون براءة من كلّ شركٍ اعتقادي وعملي».

كما قال تعالى: قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ [الزمر: 64].

وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (3).

أي: ولا أنتم –أيُّها الكافِرونَ ما دُمْتُم مُستَمِرِّينَ على ضَلالِكم– عابِدونَ اللهَ الَّذي أعبُدُه، المتَّصِفَ بصِفاتِ الكَمالِ سُبحانَه وتعالى.

وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (4).

أي: ولا أنا عابِدٌ ما عَبَدتُموه –أيُّها الكافِرونَ– مِن مَعبوداتٍ باطلةٍ؛ فأنا مُتبَرِّئٌ مِن آلهتِكم وعبادتِكم الباطِلةِ، ولا أقْبَلُها أبدًا.

وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (5).

أي: ولا أنتم –أيُّها الكافِرونَ ما دُمْتُم مُستَمِرِّينَ على كُفْرِكم– عابِدونَ اللهَ الَّذي أعبُدُه دائِمًا.

لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (6).

أي: لكم –أيُّها الكافِرونَ– دِينُكم الَّذي تبرَّأتُ منه، وهو الكُفرُ باللهِ، ولِيَ دِينُ الإسلامِ والتَّوحيدِ الَّذي أؤمِنُ به.(109)

---

(109) ذكر ابن تيمية (٧/ ٢٠٩) أنّ طائفة من المفسرين قالوا: «أنّ هذه السورة منسوخة، أي: فيما ظنوها دلّتْ عليه من تَرْك القتال، فإنهم ظنوا أنّ قوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ ولِيَ دِينِ﴾ يتضمّن تَرْك القتال».

قال تعالى: وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ [يونس: 41].

وقال سُبحانه: قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا [الإسراء: 84].

ثم انتقدهم –مستندًا إلى الدلالة العقلية– قائلًا: «ومعلوم أنّ الله لم يأمر نبيّه بمكة بالقتال، بل إنما أمره بالقتال بالمدينة، وأول آية نزلت في القتال قوله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وإِنَّ اللَّهَ عَلى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩]، فأذن الله لهم أولًا فيه، ثم كتب عليهم ثانيًا، فقال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِتالُ وهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وعَسى أنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وعَسى أنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]»، **ثم رجَّح –مستندًا إلى الدلالة العقلية– قائلًا:** «والصواب أنّ هذه الآية لم تتعرض للقتال لا بأمر ولا بنهي، بل مضمونها البراءة من دين الكفار، وهذا أمرٌ مُحكَم لا ينسخ أبدًا، وأمّا أن يقال فيها أو في غيرها رضي الرسول بدين كافرٍ فهذا لم يقُله أحدٌ مِن علماء المسلمين أصلًا، ولا أحد من سلف الأُمّة، ولا من الأولين ولا من الآخرين، ولا يقول ذلك إلا مَن هو مُفْتَرٍ على الله ورسوله، لم يرض الله بغير دين الإسلام، وهو الذي بعث الله به محمدًا لم يرض الله ولا رسوله من أحد من الخَلْق بغير هذا الدين قطّ، وإن كان لم يأمر بجهادهم في أول الأمر لعجْز المسلمين وقلّتهم».

وانتقد ابنُ القيم (٣/ ٣٧٩) قول مقاتل –مستندًا إلى الدلالة العقلية– قائلًا: «وقد غلط في السورة خلائق، وظنوا أنها منسوخة بآية السيف؛ لاعتقادهم أنّ هذه الآية اقتضت التقرير لهم على دينهم، وظنّ آخرون أنها مخصوصة بمن يُقرّون على دينهم وهم أهل الكتاب، وكلا القولين غلط محض، فلا نسخ في السورة ولا تخصيص، بل هي محكمة، وعمومها نصٌّ محفوظ، وهي مِن السور التي يستحيل دخول النسخ في مضمونها، فإنّ أحكام التوحيد التي اتفقتْ عليه دعوة الرسل يستحيل دخول النسخ فيه، وهذه السورة أخلصت التوحيد، ولهذا تُسمّى سورة الإخلاص كما تقدم.

ومنشأ الغلط: ظنهم أنّ الآية اقتضتْ إقرارهم على دينهم، ثم رأوا أنّ هذا الإقرار زال بالسيف، فقالوا: منسوخ.

وقالت طائفة: زال عن بعض الكفار، وهم مَن لا كتاب لهم، فقالوا: هذا مخصوص بأهل الكتاب.

ومعاذ الله أن تكون الآية اقتضتْ تقريرًا لهم أو إقرارًا على دينهم أبدًا، بل لم يزل رسول الله من أول الأمر وأشده عليه وعلى أصحابه أشد في الإنكار عليهم، وعيب دينهم، وتقبيحه والنهي عنه، والتهديد والوعيد كلّ وقت، وفي كلّ نادٍ، وقد سألوه أن يكُفّ عن ذِكْر آلهتهم، وعيب دينهم، ويتركونه وشأنه، فأبى إلا مُضيًّا على الإنكار عليهم وعيب دينهم، فكيف يقال: إنّ الآية اقتضتْ تقريره لهم؟ معاذ الله مِن هذا الزعم الباطل، إنما الآية اقتضت البراءة المحضة كما تقدم، وأنّ ما هم عليه مِن الدين لا نوافقكم عليه أبدًا، فإنه دين باطل، فهو مختصٌّ بكم، لا نشركّكم فيه، ولا أنتم تشركوننا في ديننا الحق، فهذا غاية البراءة والتنصُّل مِن موافقتهم في دينهم، فأين الإقرار حتى يَدَّعوا النسخ أو التخصيص؟! أفَترى إذا جُوهدوا بالسيف كما جُوهدوا بالحجّة لا يصح أن يقال: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ ولِيَ دِينِ﴾؟! بل هذه آية قائمة محكمة ثابتة بين المؤمنين والكافرين إلى أن يُطهِّر الله منهم عباده وبلاده».

وقال عزَّ وجلَّ: وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ [الشورى: 15].

* * *

تَفْسيرُ
سُورَةِ النَّصْرِ

سُورةُ النَّصْرِ

سُورةُ النَّصْرِ

سُمِّيَت هذه السُّورةُ بسُورةِ (النَّصْر).(110)

فضائل السورة وخصائصها:

أَنَّها آخِرُ سُورةٍ نَزلَت كامِلةً:

عن عُبَيْدِ الله بنِ عبدِ الله بنِ عُتْبَةَ، قال: (قال لي ابنُ عبَّاسٍ: تَعلَمُ آخِرَ سُورةٍ نَزلَت مِن القُرآنِ نَزلَت جَميعًا؟ قلتُ: نعمْ، إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ، قال: صَدقْتَ).(111)

سُورةُ النَّصرِ مَدَنيَّةٌ، نقَلَ الإجماعَ على ذلك غيرُ واحدٍ مِن المُفسِّرينَ.(112)

---

(110) سُمِّيتْ بذلك؛ لذِكرِ النَّصرِ في مُفتَتَحِها في قَولِ الله عزَّ وجلَّ: إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ.

يُنظر: ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (550/1)، ((تفسير ابن عاشور)) (587/30).

وتُسمَّى أيضًا سورةَ إِذَا جَاءَ، وسورةَ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ، وسورةَ التَّوديعِ؛ لِما فيها مِن الإيماءِ إلى وفاةِ رسولِ الله - ﷺ - وتَوديعِه الدُّنيا وما فيها.

يُنظر: ((صحيح البخاري)) (178/6)، ((جمال القراء وكمال الإقراء)) لعلم الدين السخاوي (ص: 94)، ((تفسير الألوسي)) (491/15).

(111) رواه مسلم (3024).

(112) ممَّن نقَل الإجماعَ على ذلك: ابنُ عطيَّةَ، وابنُ الجَوزيِّ، والقُرطُبيُّ، والبِقاعيُّ.

مِن أهَمِّ مقاصِدِ هذه السُّورةِ:

الإعلامُ بتَمامِ الدِّينِ.

مِن أهمِّ الموضوعاتِ الَّتي اشتَمَلَتْ عليها هذه السُّورةُ:

1- وَعدُ اللهِ تعالى لنَبيِّه - ﷺ - بالنَّصرِ والفَتحِ.

2- البِشارَةُ بدُخولِ خَلائقَ كَثيرةٍ في الإسلامِ.

3- أمْرُ الله سُبحانَه نَبيَّه - ﷺ - بالمُواظَبَةِ على التَّسبيحِ بحَمدِه واستِغفارِه.

* * *

يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (498/5)، ((تفسير ابن الجوزي)) (501/4)، ((تفسير القرطبي)) (229/20)، ((مصاعد النظر)) للبقاعي (268/3).

سُورَةُ النَّصْرِ

الآيات (1–3)

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (1) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (2) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ
رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (3)

غريب الكلمات:

أَفْوَاجًا: أي: جماعاتٍ كثيرةً، فَوجًا بعْدَ فَوجٍ، وأصلُ **(فوج)**: يدُلُّ على تجَمُّعٍ.

تَوَّابًا: التَّوَّابُ فعَّالٌ مِن تابَ يَتوبُ: أي: يُوفِّقُ العبدَ للتَّوبةِ، ويَقْبَلُها منه، وحقيقةُ التَّوبةِ الرُّجوعُ إلى اللهِ بالْتزامِ فِعلِ ما يُحِبُّ، وتَرْكِ ما يَكْرَهُ، وأصلُ **(توب)**: يدُلُّ على الرُّجوعِ.

* * *

تفسير الآيات:

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (1).

أي: إذا نصرَك اللهُ –يا محمَّدُ– على أعدائِك، وتحقَّق لك فَتحُ مكَّةَ.(113)

وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (2).

أي: ورأيتَ العَرَبَ –يا محمَّدُ– يَدخُلونَ في الإسلامِ الَّذي أرسلَك اللهُ به جماعاتٍ كثيرةً، فَوجًا بعْدَ فَوجٍ.

عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((لَمَّا نزلَت: إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ قال النَّبيُّ – ﷺ –: أتاكم أهلُ اليَمَنِ، هم أرَقُّ قُلوبًا، الإيمانُ يَمانٍ، الفِقهُ يَمانٍ، الحِكمةُ يَمانيَةٌ)).(114)

فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (3).

فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ.

---

(113) نقل ابنُ عطية (٨/ ٧٠٥) عن ابن عباس حكاية عن النقاش: «أنّ النّصر هو صُلح الحُدَيْبِية، وأنّ الفتْح هو فتْح مكة».

وذكر ابنُ كثير (١٤/ ٤٩٤) أنّ «المراد بالفتْح هاهنا فتْح مكة قولًا واحدًا».

(114) أخرجه أحمدُ (7722)، وعبدُ الرَّزَّاقِ في ((التفسير)) (3726).

صحَّح إسنادَه أحمد شاكر في تخريج ((مسند أحمد)) (149/14)، والألبانيُّ على شَرطِ الشَّيخَينِ في ((سلسلة الأحاديث الصحيحة)) (3369)، وشعيبُ الأرناؤوط على شَرطِ الشَّيخَينِ في تخريج ((مسند أحمد)) (156/13).

وقال ابنُ حَجَرٍ في ((الكافي الشاف)) (327): (أصلُه في مسلمٍ دونَ ما في أوَّلِه، وله شاهِدٌ).

أي: فنَزِّهْ –يا محمَّدُ– ربَّك عن النَّقائِصِ والعُيوبِ تنزيهًا مُقتَرِنًا بحَمْدِه، وهو وَصْفُه بصِفاتِ الكَمالِ محبَّةً له وتعظيمًا، واطلُبْ منه محوَ ذُنوبِك.

عن عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عنها، قالت: ((كان رَسولُ اللهِ – ﷺ – يُكثِرُ مِن قَولِ: سُبحانَ اللهِ وبحَمْدِه، أستَغفِرُ اللهَ وأتوبُ إليه. فقُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، أَراك تُكثِرُ مِن قَولِ: سُبحانَ اللهِ وبحَمْدِه، أستَغفِرُ اللهَ وأتوبُ إليه. فقال: خَبَّرَني رَبِّي أنِّي سأرى علامةً في أمَّتي، فإذا رأيتُها أكثَرْتُ مِن قَولِ: سُبحانَ اللهِ وبحَمْدِه، أستَغفِرُ اللهَ وأتوبُ إليه، فقد رأيتُها: إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ فتحُ مكَّةَ، وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا)).(115)

وعن عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عنها، قالت: ((كان رَسولُ اللهِ – ﷺ – يُكثِرُ أن يقولَ في رُكوعِه وسُجودِه: سُبحانَك اللَّهمَّ رَبَّنا وبحَمْدِك، اللَّهُمَّ اغفِرْ لي؛ يَتأوَّلُ القُرآنَ).(116)

وعن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: (كان عُمَرُ يُدخِلُني مع أشياخِ بَدْرٍ، فقال بعضُهم: لِمَ تُدخِلُ هذا الفتى معنا ولنا أبناءٌ مِثْلُه؟! فقال: إنَّه ممَّن قد عَلِمتُم، فدعاهم ذاتَ يومٍ ودعاني معهم، وما رُئِيتُه دعاني يومَئذٍ إلَّا لِيُرِيَهم مِنِّي، فقال: ما تَقولون في: إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ

---

(115) رواه مسلم (484).

(116) يَتأوَّلُ القرآنَ: أي يَفعلُ ما أُمِر به.

يُنظر: ((فتح الباري)) لابن حجر (2/299).

رواه البخاري (4968)، ومسلم (484).

فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا حتَّى ختمَ السُّورةَ؟ فقال بعضُهم: أُمِرْنا أن نحمَدَ اللهَ ونَستَغفِرَه إذا نصَرَنا وفتَح علينا، وقال بعضُهم: لا ندري، أو لم يَقُلْ بعضُهم شيئًا، فقال لي: يا ابنَ عبَّاسٍ، أكذاك تقولُ؟ قُلتُ: لا، قال: فما تقولُ؟ قلتُ: هو أجَلُ رَسولِ اللهِ - ﷺ - أعْلَمَه اللهُ له: إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ فَتحُ مكَّةَ، فذاك علامةُ أجَلِك، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا، قال عُمَرُ: ما أعلَمُ منها إلَّا ما تَعلَمُ).(117)

إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا.

أي: إنَّ اللهَ مُتَّصِفٌ أزَلًا وأبدًا بالتَّوبةِ على عِبادِه، فيُوَفِّقُهم إليها، ويَقْبَلُها منهم.

كما قال تعالى: إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا [النساء: 16].

وقال سُبحانَه وتعالى: وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ [الشورى: 25].

---

(117) رواه البخاري (4294).

تَفْسِيرُ
سُورَةِ المَسَدِ

سُورةُ المَسَدِ

سُورةُ المَسَدِ

سُمِّيَت هذه السُّورةُ بسُورةِ (المَسَدِ).(118)

سُورةُ المَسَدِ مكِّيَّةٌ، نقَلَ الإجماعَ على ذلك غيرُ واحدٍ مِن المُفسِّرينَ.(119)

مِن أهَمِّ مقاصِدِ هذه السُّورةِ:

الإخبارُ عن شَقاءِ أبي لَهَبٍ وامرأتِه.

---

(118) سُمِّيت هذه السُّورةُ بذلك؛ لذِكرِ لَفظِ (المَسَدِ) فيها في قولِه: فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ.

يُنظر: ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (552/1).

وسُمِّيت أيضًا بسورةِ تَبَّتْ وتَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ، وسورةِ (أبي لهبٍ) على تقديرِ: سورة ذِكْرِ أبي لهبٍ.

يُنظر: ((صحيح البخاري)) (179/6)، ((جمال القراء وكمال الإقراء)) لعلم الدين السخاوي (ص: 94)، ((تفسير ابن عاشور)) (599/30).

(119) ممَّن نقلَ الإجماعَ على ذلك: ابنُ عطيَّةَ، وابنُ الجوزيِّ، والقُرطُبيُّ، والبِقاعيُّ.

يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (499/5)، ((تفسير ابن الجوزي)) (502/4)، ((تفسير القرطبي)) (234/20)، ((مصاعد النظر)) للبقاعي (276/3).

مِن أهمِّ الموضوعاتِ الَّتي اشتَمَلَتْ عليها هذه السُّورةُ:

1- الإخبارُ عن أبي لَهَبٍ بالهَلاكِ والخُسرانِ.

2- عدَمُ إغناءِ مالِه عنهُ ولا كَسْبِه.

3- تَوَعُّدُه وامرأتِه بدُخولِ النَّارِ.

* * *

سُورةُ المَسَدِ

الآيات (1–5)

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (1) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (2) سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (3)

وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (4) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ (5)

غريب الكلمات:

تَبَّتْ: أي: خَسِرَتْ وهلَكَتْ، وأصلُ (تبب): يدُلُّ على خُسرانٍ.

جِيدِهَا: أي: عُنُقِها.

حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ: المسَدُ: ما فُتِلَ مِن أيِّ شَيءٍ كان، قيل: إنَّه سِلْسلةٌ فُتِلَتْ مِن الحديدِ فَتْلًا مُحكَمًا، ولُوِيَت ليًّا شَديدًا، وقيل: المسَدُ: اللِّيفُ، وأصلُ (مسد): يدُلُّ على فَتْلِ شَيءٍ وطَيِّه.

* * *

تفسير الآيات:

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (1).

سَبَبُ النُّزولِ:

أي: خَسِرَتْ وهلَكَتْ يدا أبي لَهَبٍ، وقد تحقَّقت خَسارتُه هو وهَلاكُه!

عن ابنِ عبَّاسٍ رَضِـــيَ اللهُ عنهما: ((أنَّ النَّبيَّ - ﷺ - خرَج إلى البَطحاءِ،[120] فصَـــعِدَ إلى الجَبَلِ فنادى: يا صَـــباحاه! فاجتمَعَت إليه قُرَيشٌ، فقال: أرأَيْتُم إنْ حدَّثْتُكم أنَّ العَدُوَّ مُصَـــبِّحُكم أو مُمَسِّيكم، أكنتُم تُصَدِّقوني؟! قالوا: نعم، قال: فإنِّي نَذيرٌ لكم بيْنَ يدَيْ عذابٍ شديدٍ. فقال أبو لهَبٍ: ألِهذا جمَعْتَنا؟! تبًّا لك! فأنزَلَ اللهُ عزَّ وجَلَّ: تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ إلى آخِرِها)).[121]

عن طارقٍ المُحارِبيِّ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((رأيتُ رَسولَ اللهِ - ﷺ - بسوقِ ذي المَجازِ، وأنا في بِياعةٍ أَبِيعُها، فمَرَّ وعليه جُبَّةٌ له حَمراءُ، وهو يُنادي بأعلى صَوتِه: أيُّها النَّاسُ، قولوا: لا إلهَ إلَّا اللهُ؛ تُفلِحوا، ورجُلٌ يَتبَعُه بالحِجارةِ قد أدمى كعبَيْه وعُرقُوبَيه![122] وهو يقولُ: يا أيُّها النَّاسُ، لا تُطيعوه؛ فإنَّه

---

(120) البَطْحاءُ والأَبْطَحُ: مَسِيلٌ واسعٌ فيه دِقاقُ الحصى، والمرادُ هنا: مَسِيلُ وادي مكَّةَ.
يُنظر: ((الصِّحاح)) للجوهري (356/1)، ((إرشاد الساري)) للقَسْطَلَّاني (438/7).

(121) رواه البخاريُّ (4972) واللَّفظُ له، ومسلمٌ (208).

(122) العُرْقوبُ: هو العَصَبةُ الَّتي فوقَ العَقِبِ.
يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (131/3).

كَذَّابٌ! قُلتُ: مَن هذا؟ قالوا: هذا غُلامُ بني عبدِ المطَّلِبِ. قلتُ: فمَن هذا الَّذي يَتْبَعُه يَرميه بالحِجارةِ؟ قالوا: عَمُّه عبدُ العُزَّى، وهو أبو لَهَبٍ!)).[123]

مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (2).

أي: لم يَنفَعْه مالُه وما كَسَبَه مِن الأولادِ أو غيرِهم؛ فيَدفَعَ عنه شيئًا مِن عذابِ اللهِ.[124]

قال تعالى: وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى [الليل: 11].

سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (3).

أي: سيَدخُلُ أبو لهبٍ نارًا ذاتَ شَرَرٍ ولَهيبٍ وإحراقٍ شَديدٍ، لا تَسكُنُ ولا تَخمُدُ أبدًا.

قال تعالى: فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ * لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى [الليل: 14-15].

---

(123) أخرجه ابنُ أبي شَيْبَةَ (37720) واللَّفظُ له، وابنُ خُزَيْمَةَ (159)، وابنُ حِبَّانَ (6562).

صحَّحه ابنُ خُزَيْمَةَ، وابنُ حِبَّانَ، وابنُ حزم في ((المحلى)) (112/9)، وابنُ المُلَقِّنِ في ((البدر المنير)) (680/1).

(124) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٧٠٧) في معنى الآية احتمالين: الأول: «أن تكون ﴿ما﴾ نافية، ويكون الكلام خبرًا عن أنّ جميع أحواله الدنيوية لم تُغْن عنه شيئًا حين حُتم عذابه بعد موته».

والثاني: «أن تكون ﴿ما﴾ استفهامًا على وجه التقرير».

ووجَّهه بقوله: «أي: أين الغناء الذي لِماله ولكسبه؟!».

وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (4).

أي: وسيَدخُلُ معه النَّارَ زَوجتُه الحامِلةُ للحطَبِ.(125)

---

(125) اختُلف في معنى: ﴿حَمّالَةَ الحطَبِ﴾ في هذه الآية على أقوال: الأول: أنها كانت تحتطب الشوك، فتُلقيه في طريق رسول الله ليلًا.

الثاني: أنها كانت تحطب الكلام، وتمشي بالنّميمة، وتُعيِّر رسول الله بالفقر.

الثالث: الحطب: الخطايا، والمعنى: حمّالة الخطايا.

ووجَّه ابنُ عطية (٨/ ٧٠٨) القول الأول بقوله: «فبذلك سُمِّيتْ: حمّالة الحطب، وعلى هذا التأويل فـ ﴿حَمّالة﴾ معرفة يُراد به الماضي».

ووجَّه القول الثاني بقوله: «ف ﴿حَمّالة﴾ –على هذا– نكرةٌ يُراد به الاستقبال».

ووجَّه ابنُ تيمية (٧/ ٢٤٣، ٢٤٤) القول الثاني بقوله: «﴿حَمّالَةَ الحَطَبِ﴾ إن كان مثلًا للنّميمة لأنها تضرم الشّرّ فيكون حطب القلوب...

ويستقيم أنْ يُفسّر حمْل الحطب بالنّميمة بحمل الوقود في الآخرة، كقوله: «مَن كان له لسانان» إلخ».

ثم علَّق (٧/ ٢٤٤) بقوله: «وقد يقال: ذنبها أعظم، وحمْل النّميمة لا يوصف بالحبل في الجِيد وإن كان وصفًا لحالها في الآخرة، كما وصف بعْلها وهو يصلى وهي تحمل الحطب عليه، كما أعانته على الكفر، فيكون من حشر الأزواج، وفيه عِبرة لكل متعاونين على الإثم أو على إثم ما أو عدوان ما».

ورجَّح ابنُ جرير (٢٤/ ٧٢١) القول الأول لأنه الأظهر، وهو قول ابن عباس من طريق العَوفيّ وما في معناه.

وكذا رجَّحه ابنُ كثير (١٤/ ٤٩٧).

فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ (5).

أي: في عُنُقِ امرأةِ أبي لهَبٍ حَبلٌ مَفتولٌ.(126)

* * *

---

(126) اختُلف في معنى: ﴿حَبْلٌ مِن مَسَدٍ﴾ في هذه الآية على أقوال: الأول: حبالٌ من الشجر تكون بمكة.

الثاني: المسد: اللِّيفُ.

الثالث: المسد: الحديد الذي يكون في البكرة.

الرابع: هو قلادة من ودَعٍ في عنقها.

وعلَّق ابنُ عطية (٨/ ٧٠٩) على القول الرابع بقوله: «فإنما عبَّر عن قِلادتها بحبل من مَسَد على جهة التفاؤل لها، وذكر تبرّجها في هذا السعي الخبيث».

ورجَّح ابنُ جرير (٢٤/ ٧٢٥) –مستندًا إلى اللغة– أنه «حَبْلٌ جُمِعَ من أنواع مختلفة، ولذلك اختلف أهل التأويل في تأويله على النحو الذي ذكرنا، ومما يدل على صحة ما قلنا في ذلك قول الراجز:

ومَسَدٍ أُمِرَّ مِن أيانِقِ صُهْبٍ عِتاقٍ ذاتِ مُخٍّ زاهِقِ

فجعل إمراره من شتى، وكذلك المسد الذي في جِيدِ امرأة أبي لهبٍ أُمِرَّ من أشياء شتى؛ من ليفٍ وحديدٍ ولِحاءٍ، وجُعِلَ في عُنُقها طوقًا كالقِلادة من ودَعٍ، ومنه قول الأعشى:

تُمسي فيَصرفُ بابُها من دوننا غَلَقًا صريفَ محالةِ الأمسادِ

يعني بالأمسادِ: جمعَ مسدٍ؛ وهي الحبال».

تَفْسِيرُ
سُورَةِ الإِخْلاصِ

سُورةُ الإِخْلاصِ

سُورةُ الإِخْلاصِ

سُمِّيَت هذه السُّورةُ بسُورةِ الإِخْلاصِ.(127)

وسُمِّيت أيضًا بـ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ؛ فعن أبي الدَّرْداءِ رضِيَ الله عنه، عن النَّبيِّ - ﷺ -، قال: ((أَيَعْجِزُ أحَدُكم أن يَقرأَ في لَيلةٍ ثُلُثَ القُرآنِ؟ قالوا: وكيف يَقرأُ ثُلُثَ القُرآنِ؟ قال: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ تَعدِلُ ثُلُثَ القُرآنِ)).(128)

---

(127) قال الفيروزابادي: (سُمِّيت سورةَ الإخلاصِ؛ لأَنَّها خالصُ التَّوحيدِ؛ وسببُ خلاصِ أهْلِه).
((بصائر ذوي التمييز)) (173/2).
وقال ابن عاشـور: (واشْـتُهِرَ هذا الاسـمُ؛ لاختِصـارِه، وجَمْعِه مَعانيَ هذه السُّـورةِ؛ لأنَّ فيها تعليمَ النَّاسِ إخلاصَ العبادَةِ لله تعالَى، أي: سلامةَ الاعتقادِ مِن الإشراكِ باللهِ غيرَه في الإلَهِيَّةِ).
((تفسير ابن عاشور)) (609/30).
وقال ابنُ عثيمين: (سُمِّيت به؛ لأنَّ اللهَ تعالى أخلَصَـها لنَفْسِـه، فلَمْ يَذكُرْ فيها إلَّا ما يَتعَلَّقُ بأسمائِه وصِفاتِه، ولأنَّها تُخَلِّصُ قارِئَها مِن الشِّركِ والتَّعطيلِ).
((مذكرة على العقيدة الواسطية)) (ص: 13).
وسُمِّيت أيضًا: الأساسَ، والمقشقِشةَ [أي: المبرئة، وهو مِن قَشْقَشَ المريضُ: إذا صحَّ وبَرِئَ]، والتَّوحيدَ، والتَّجريدَ... إلى غيرِ ذلك، وقد ذكروا لها أكثرَ من عِشرينَ اسْمًا.
يُنظر: ((تفسير الرازي)) (357/32)، ((تفسير الألوسي)) (503/15)، ((تفسير ابن عاشور)) (609/30).

(128) أخرجه مسلم (811).

ويُطلَقُ عليها مع سورتَيِ (الفَلَقِ) و(النَّاسِ): (المُعَوِّذاتُ):

عن عُقْبَةَ بنِ عامِرٍ رضِيَ الله عنه، قال: ((أمَرَني رَسولُ الله – ﷺ – أن أَقرأَ بالمُعَوِّذاتِ في دُبُرِ كلِّ صَلاةٍ)).(129)

فضائل السورة وخصائصها:

1– أنَّها تَعدِلُ ثُلُثَ القُرآنِ:

عن أبي الدَّرْداءِ رضِيَ الله عنه، عن النَّبيِّ – ﷺ –، قال: ((أيَعْجِزُ أحدُكم أن يَقرأَ في لَيلةٍ ثُلُثَ القُرآنِ؟ قالوا: وكيف يَقرأُ ثُلُثَ القُرآنِ؟ قال: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ تَعدِلُ ثُلُثَ القُرآنِ)).(130)

وأخرجه البخاري (5015) من حديث أبي سعيد الخدري.

(129) أخرجه أبو داودَ (1523)، والنَّسائيُّ (1336)، وأحمدُ (17417) واللَّفظُ لهم، والترمذيُّ (2903) باختلافٍ يسيرٍ.

صحَّحه ابنُ حِبَّانَ في ((صحيحه)) (2004)، وابنُ حجر في ((نتائج الأفكار)) (290/2)، والألبانيُّ في ((صحيح سنن أبي داود)) (1523)، وشعيبٌ الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (28/ 634).

وذكر ابنُ باز في ((الفوئد العلمية)) (335/6) أنَّ له طرقًا جيِّدةً.

(130) أخرجه مسلم (811).

وأخرجه البخاري (5015) من حديث أبي سعيد الخدري.

قال ابن تيميَّةَ: (القُرآنُ باعتبارِ معانيه ثلاثةُ أثلاثٍ: ثُلُثٌ توحيدٌ، وثُلُثٌ قَصَصٌ، وثُلُثٌ أمْرٌ ونَهْيٌ؛ لأنَّ القرآنَ كلامُ اللهِ، والكلامُ: إمَّا إنشاءٌ، وإمَّا إخبارٌ، والإخبارُ: إمَّا عن الخالقِ، وإمَّا عن المخلوقِ، والإنشاءُ: أمرٌ ونهيٌ وإباحةٌ؛ فـ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ فيها ثُلُثُ التَّوحيدِ، الَّذي هو خَبَرٌ عن الخالقِ).

((اقتضاء الصراط المستقيم)) لابن تيمية (393/2).

وقال ابن عثيمين: («تعدلُ ثلثَ القرآنِ» يعني أجرها كأجرِ ثلثِ القرآنِ، لكنَّها لا تجزئُ عن القرآنِ، ولهذا لو قرَأها الإنسانُ مثلًا ثلاثَ مرَّاتٍ بدلَ قراءةِ الفاتحةِ في الصلاةِ لا تجزئُ).

((شرح رياض الصالحين)) (676/4).

وعن أبي سعيد الخدري رضيَ الله عنه: ((أنَّ رجلًا سمِع رجلًا يقرأُ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ يردِّدُها، فلمَّا أصبَح جاء إلى رسولِ الله – ﷺ – فذكَر ذلك له، وكأنَّ الرَّجلَ يتقالُّها، فقال رسولُ الله – ﷺ –: والذي نَفْسي بيدِه إنَّها لتعدلُ ثلثَ القرآنِ)).(131)

2– أَمَر الرَّسولُ – ﷺ – بقِراءةِ المعَوِّذاتِ (ومنها سورةُ الإخلاصِ) في دُبُرِ كلِّ صَلاةٍ:

كما في حديثِ عُقْبةَ بنِ عامرٍ رضِيَ الله عنه، وقد تقدَّم.

3– ما أُنزِلَ مِثلُ المعَوِّذاتِ (ومنها سورةُ الإخلاصِ) في التَّوراةِ ولا في الإنجيلِ ولا في الفُرقانِ:

عن عُقْبةَ بنِ عامرٍ رضِيَ الله عنه، قال: ((... لَقِيتُ رسولَ اللهِ – ﷺ –، فقال لي: يا عُقْبةُ بنَ عامرٍ، ألَا أُعلِّمُك سوَرًا ما أُنزِلَتْ في التَّوراةِ، ولا في الزَّبورِ، ولا في الإنجيلِ، ولا في الفُرقانِ مِثلُهُنَّ؟ لا يأتِيَنَّ عليك لَيلةٌ إلَّا قَرأْتَهُنَّ فيها: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، وقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، وقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ. قال عُقْبةُ: فما أَتَتْ عليَّ لَيلةٌ إلَّا قَرأْتُهُنَّ فيها، وحُقَّ لي ألَّا أَدَعَهُنَّ وقد أَمَرني بِهِنَّ رسولُ اللهِ – ﷺ –.(132)

ويُنظر: ((الوابل الصيب)) لابن القيم (ص: 92).

(131) أخرجه البخاري (5013).

(132) أخرجه أحمدُ (17452) واللَّفظُ له، وهَنَّادٌ في ((الزهد)) (493/2)، وابنُ أبي الدنيا في ((مكارم الأخلاق)) (20) كلاهما مختصرًا.

صحَّح إسنادَه الألبانيُّ في ((سلسلة الأحاديث الصحيحة)) (859/6)، وحسَّن إسنادَه شعيبُ الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (655/28)، ووثَّق رجالَه الهَيْثَميُّ في ((مجمع الزوائد)) (151/7)، والشَّوكانيُّ في ((تحفة الذاكرين)) (ص: 444).

4- مَن قَرأَ المعوِّذاتِ (ومنها سورةُ الإخلاصِ) صباحًا ومَساءً ثلاثًا تَكْفِيه مِن كلِّ شَيءٍ:

عن عبدِ الله بنِ خُبَيبٍ رضِيَ اللهُ عنه، قال: ((خرَجْنا في لَيلةٍ مَطِيرةٍ وظُلْمةٍ شديدةٍ نَطلُبُ رَسولَ اللهِ - ﷺ - يُصَلِّي لنا، فأدرَكْتُه فقال: قُلْ. فلمْ أَقُلْ شيئًا، ثمَّ قال: قُلْ. فلمْ أقُلْ شيئًا، ثمَّ قال: قُلْ. قلتُ: ما أقولُ؟ قال: قُلْ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، والمُعَوِّذَتَينِ حينَ تُمسي وحينَ تُصبِحُ ثلاثَ مرَّاتٍ تَكفيكَ مِن كلِّ شيءٍ)).(133)

5- كان النَّبيُّ - ﷺ - إذا اشتكى رقَى نفْسَه بالمعوِّذاتِ (ومنها سورةُ الإخلاصِ):

---

(133) قيل: المعنى: تَكفيك مِن كلِّ شَيءٍ تَخْشى منه كائنًا ما كان، وتَدفَعُ عنك كلَّ سوءٍ.

ويحتملُ أن يكونَ معناه: تُغْنيك عمَّا سِواها.

يُنظر: ((شرح المشكاة)) للطِّيبي (5/1671)، ((مرقاة المفاتيح)) لعليٍّ القاري (4/1485)، ((تحفة الذاكرين)) للشوكاني (ص: 97).

أخرجه أبو داودَ (5082)، والترمذيُّ (3575) واللَّفظُ له، والنَّسائيُّ (5428)، وعبدُ الله بنُ أحمدَ في ((زوائد المسند)) (22664).

صحَّحه ابنُ دقيقِ العيدِ في ((الاقتراح)) (ص: 128)، وحسَّنه ابنُ حجر في ((نتائج الأفكار)) (2/345)، والألبانيُّ في ((صحيح سنن أبي داود)) (5082)، وصحَّح إسنادَه النوويُّ في ((الأذكار)) (ص: 107)، وحسَّنه ابنُ باز في ((مجموع فتاواه)) (26/26).

عن عائشةَ رَضِيَ اللهُ عنها: ((أنَّ رسولَ اللهِ – ﷺ – كان إذا اشتَكى يَقرأُ على نفسِه بالمُعَوِّذاتِ ويَنْفُثُ،(134) فلمَّا اشْتَدَّ وَجعُه كنتُ أقرأُ عليه وأمْسَحُ بيَدِه؛ رجاءَ بَرَكَتِها)).(135)

6- كان النَّبيُّ – ﷺ – يُعَوِّذُ نفسَه بالمعوِّذاتِ (ومنها سورةُ الإخلاصِ) إذا أوَى إلى فِراشِه:

عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها: ((أنَّ النَّبيَّ – ﷺ – كان إذا أوَى إلى فِراشِه كُلَّ لَيلةٍ جَمَع كَفَّيْه، ثُمَّ نَفَث فيهما فقَرَأ فيهما: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ وقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، ثُمَّ يَمسَحُ بهما ما استَطاع مِن جَسَدِه، يَبْدَأُ بهما على رَأْسِه ووَجْهِه وما أقْبَلَ مِن جَسَدِه، يَفعَلُ ذلك ثلاثَ مرَّاتٍ)).(136)

7- مَن دَعا بما تَضَمَّنَتْه مِن أسماءٍ فقد دَعا اللهَ باسمِه الأعظَمِ:

---

(134) النَّفثُ: هو نفخٌ لطيفٌ مِن الفَمِ معه ريقٌ خفيفٌ أو بلا ريقٍ.

يُنظر: ((شرح المشكاة)) للطِّيبي (1651/5)، ((فتح الباري)) لابن حجر (209/10)، ((إرشاد الساري)) للقَسْطَلَّاني (393/8).

(135) أخرجه البخاري (5016)، ومسلم (2192).

(136) أخرجه البخاري (5017).

عن بُرَيْدَةَ رضـــيَ اللهُ عنه: ((أنَّ النَّبيَّ – ﷺ – سَمِعَ رجُلًا يقولُ: اللَّهمَّ إنِّي أسـألُكَ بأنَّكَ أنتَ اللهُ الأحَدُ الصَّمَدُ، الَّذي لم يَلِدْ ولم يولَدْ، ولم يَكُنْ له كُفُوًا أحَدٌ، فقال رسولُ اللهِ – ﷺ –: لَقَد سأَلَ اللهَ باسْمِه الأعظَمِ، الَّذي إذا سُئِلَ به أعطى، وإذا دُعِيَ به أجاب)).(137)

8- مَن أحَبَّها دخَل الجنَّةَ:

عن أنَسٍ رضـيَ اللهُ عنه، قال: ((كان رجُلٌ مِن الأنصـارِ يَؤُمُّهم في مَسـجدِ قُباءٍ، وكان كُلَّما افتتَح سورةً يَقرأُ بها لهم في الصَّلاةِ ممَّا يُقرأُ به افتتَح بـ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ حتَّى يَفرُغَ منها ثمَّ يَقرأُ سورةً أخرى معها، وكان يَصنعُ ذلك في كلِّ ركعةٍ، فكلَّمهُ أصحابُه فقالوا: إنَّك تَفتَتِحُ بهذه السُّورةِ ثمَّ لا ترى أنَّها تُجزِئُك حتَّى تَقرأَ بأخرى، فإمَّا أنْ تَقرأَ بها وإمَّا أنْ تَدعَها وتَقرأَ بأخرى. فقال: ما أنا بتارِكِها، إنْ أحبَبْتُم أنْ أَؤُمَّكم بذلك فعَلْتُ، وإنْ كَرِهْتُم تَرَكْتُكم، وكانوا يَرَوْنَ أنَّه مِن أفضَلِهم، وكَرِهوا أنْ يَؤُمَّهم غيرُه، فلمَّا أتاهم النَّبيُّ – ﷺ – أخبَروه الخبَرَ، فقال: يا فُلانُ، ما يَمْنَعُك أنْ تَفعلَ ما يأمُرُك به أصـحابُك؟ وما يَحمِلُك على لُزومِ هذه السُّـورةِ في كلِّ ركعةٍ؟ فقال: إنِّي أُحِبُّها. فقال: حُبُّكَ إيَّاها أدخَلكَ الجنَّةَ)).(138)

---

(137) أخرجه أبو داودَ (1493)، والترمذيُّ (3475)، والنسـائيُّ في ((السـنن الكبرى)) (7666)، وابنُ ماجه (3857)، وأحمدُ (23041) واللَّفظُ له.

صـحَّحه ابنُ حِبَّانَ في ((صـحيحه)) (891)، والألبانيُّ في ((صـحيح سنن ابن ماجه)) (1493)، وشعيبٌ الأرناؤوط في تخريج ((سنن أبي داود)) (1493)، وصحَّح إسنادَه ابنُ باز في ((فتاوى نور على الدرب)) (132/2).

(138) أخرجه البخاري (774م).

9- مَن أَحَبَّ القِراءةَ بها أَحَبَّه اللهُ، وهي صِفَةُ الرَّحمنِ:

عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها: ((أنَّ النَّبيَّ - ﷺ - بعَثَ رجُلًا علَى سَرِيَّةٍ،[139] وكان يَقرأُ لأصْحابِهِ في صَلاتِهِم فيَختِمُ بـ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، فلَمَّا رَجَعوا ذَكَروا ذلك للنَّبيِّ - ﷺ -، فقال: سَلُوهُ لأيِّ شَيءٍ يَصنَعُ ذلك، فسَأَلوه، فقال: لأنَّها صِفةُ الرَّحمنِ، وأنا أُحِبُّ أنْ أقرَأَ بها، فقال النَّبيُّ - ﷺ -: أَخْبِرُوهُ أنَّ اللهَ تعالى يُحِبُّه)).[140]

10- سَمِعَ النَّبيُّ - ﷺ - رجُلًا يقرأُ بها فقال: ((وَجَبَتْ له الجنَّةُ)):

عن أبي هُرَيرةَ رضيَ اللهُ عنه: ((أنَّ رسولَ اللهِ - ﷺ - سمِعَ رجُلًا يقرأُ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ حتَّى ختَمها، فقال: وَجَبَتْ، قيل: يا رسولَ اللهِ، ما وجبَتْ؟ قال: الجنَّةُ، قال أبو هُرَيرةَ: فأرَدْتُ أنْ آتيَه فأُبَشِّرَه، فآثَرْتُ الغَداءَ مع رسولِ اللهِ - ﷺ -، وفَرِقْتُ أن يَفوتَني الغداءُ معَ رسولِ الله - ﷺ -، ثمَّ رجَعْتُ إلى الرَّجُلِ، فوجَدْتُه قد ذهَبَ)).[141]

---

[139] السَّرِيَّة: هي طائفةٌ مِن الجَيشِ يَبلُغُ أَقْصاها أربَعَمِئةٍ تُبعَثُ إلى العَدوِّ، وجَمْعُها: السَّرايا، سُمُّوا بذلك؛ لأنَّهم يَكونُون خُلاصةَ العَسْكرِ وخيارَهم، مِنَ الشَّيءِ السَّرِيِّ النَّفيس.
يُنظر: ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) لابن الأثير (363/2).

[140] أخرجه البخاري (7375)، ومسلم (813).

[141] أخرجه الترمذيُّ (2897)، والنَّسائيُّ (994)، وأحمدُ (10919) واللَّفظُ له.
صحَّحه ابنُ عبدِ البَرِّ في ((التمهيد)) (254/7)، وابنُ العربيِّ في ((عارضة الأحوذي)) (40/6)، والألبانيُّ في ((صحيح سنن الترمذي)) (2897).

11- سَمِعَ النَّبيُّ - ﷺ - رجُلًا يَقرأُ بها في الرَّكعةِ الثَّانيةِ مِن رَكعَتَيِ الفَجرِ فقال: ((هذا عَبْدٌ آمَنَ برَبِّه)): عن جابرٍ رضيَ الله عنه: ((أنَّ رجُلًا قام فركَعَ رَكْعَتَيِ الفَجرِ... وقرأَ في الآخِرةِ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ حتَّى انقَضَت السُّورةُ، فقال النَّبيُّ - ﷺ -: هذا عَبدٌ آمَنَ برَبِّه)).(142)

12- كان النَّبيُّ - ﷺ - يقرأُ بها في رَكعةِ الوِترِ:

عن عبدِ اللهِ بنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: ((كان رسولُ اللهِ - ﷺ - يُوترُ بثلاثٍ، يقرأُ في الأُولى بـ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى، وفي الثَّانيةِ بـ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، وفي الثَّالثةِ بـ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)).(143)

13- كان النَّبيُّ - ﷺ - يقرأُ بها في سنَّةِ الفجرِ:

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: ((كان رسولُ الله - ﷺ - يُصلِّي... ركعتينِ قبلَ الفجرِ، وكان يقولُ: نِعْمَ السُّورتانِ هُما، تَقرؤُونَهما في الرَّكعتَينِ قَبلَ الفجرِ: قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، وقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)).(144)

---

(142) أخرجه الطَّحاويُّ في ((شرح معاني الآثار)) (1774)، وابنُ حِبَّانَ (2460)، والبَيْهَقيُّ في ((شُعَب الإيمان)) (2524).
صحَّحه ابنُ حِبَّانَ، وحسَّنه ابنُ حجر في ((نتائج الأفكار)) (489/1)، وقوَّى إسنادَه شعيبُ الأرناؤوط في تخريج ((صحيح ابن حبان)) (2460)، وجوَّد إسنادَه الألبانيُّ في ((أصل صفة الصلاة)) (456/2).

(143) أخرجه الترمذيُّ (462)، والنَّسائيُّ (1702) واللَّفظُ له، وابنُ ماجه (1172)، وأحمدُ (2720).
صحَّح إسنادَه النَّوويُّ في ((الخلاصة)) (556/1)، وابنُ الملقِّنِ في ((البدر المنير)) (338/4)، وصحَّحه الألبانيُّ في ((صحيح سنن النسائي)) (1702).

(144) أخرجه ابن ماجه (1150)، وأحمد (26022) واللفظ له، وابن حبان في ((صحيحه)) (2461).
صحَّحه ابن حبان، والألباني في ((صحيح ابن ماجه)) (950) وشعيب الأرناؤوط في تخريج ((المسند)) (149/43).

سُورةُ الإخلاصِ مكِّيَّةٌ، وقيلَ: مَدَنيَّةٌ.(145)

مِن أهَمِّ مقاصِدِ هذه السُّورةِ:

بيانُ ما يَجِبُ لله تعالَى مِن صِفاتِ الكمالِ، وبيانُ ما يَجِبُ تَنْزيهُه عنه مِن النَّقائصِ والأمثالِ.

مِن أهمِّ الموضوعاتِ الَّتي اشتَمَلَتْ عليها هذه السُّورةُ:

1- إثباتُ وَحدانيَّةِ الله تعالى.

2- أنَّ لله تعالى صِفاتِ الكمالِ، ولا يُقصدُ في الحوائجِ غيرُه.

3- إبطالُ أن يكونَ اللهُ والدًا، أو أن يكونَ مولودًا.

4- تنزيهُ الله عن النَّظيرِ والمثيلِ.

* * *

---

(145) ونسَب القولَ بأنَّها مكيةٌ للجمهورِ: النَّسَفيُّ، وابنُ عاشور.
يُنظر: ((تفسير النسفي)) (3/693)، ((تفسير ابن عاشور)) (30/611).
وقيل: مَدَنيَّةٌ.
وممَّن اختاره: السمعانيُّ، والسيوطيُّ.
يُنظر: ((تفسير السمعاني)) (6/302)، ((الإتقان في علوم القرآن)) للسيوطي (1/55).
قال القُرطُبيُّ: (سورةُ الإخلاصِ مكِّيَّةٌ في قولِ ابنِ مسعودٍ، والحسَنِ، وعَطاءٍ، وعِكْرِمةَ، وجابرٍ
ومَدَنيَّةٌ في أحَدِ قَولَيِ ابنِ عبَّاسٍ، وقَتادةَ، والضَّحَّاكِ، والسُّدِّيِّ).
((تفسير القرطبي)) (20/244).
ويُنظر: ((تفسير الماوردي)) (6/369)، ((تفسير ابن عطية)) (5/502).

سُورةُ الإِخْلاصِ

الآيات (1–4)

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)

غريب الكلمات:

أَحَدٌ: الأحدُ هو الَّذي لا ثانيَ له، ولم يَسبِقْه في أوَّليَّتِه شيءٌ، الَّذي توحَّدَ بجميعِ الكَمالاتِ، وتفرَّدَ بالجَلالِ والعَظَمةِ، فلا شَريكَ له ولا مِثلَ ولا نَظيرَ.

الصَّمَدُ: أي: الَّذي لا جَوْفَ له، والسَّيِّدُ الَّذي يُصمَدُ إليه -أي: يُقصَدُ- في الأُمورِ، وأصلُ (صمد): يدُلُّ على القَصْدِ.

كُفُوًا: أي: مَثيلًا أو نظيرًا، وأصلُ (كفأ): يدُلُّ على التَّساوي في الشَّيئَينِ.

* * *

تفسير الآيات:

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1).

أي: قُلْ –يا محمَّدُ– مُعرِّفًا باللهِ تعالى: هو المتفرِّدُ بالوَحدانيَّةِ في ذاتِه وصِفاتِه، فلا نَظيرَ له ولا شَريكَ.

اللَّهُ الصَّمَدُ (2).

أي: اللهُ الكاملُ في صِفاتِه، الَّذي افتقَرَتْ إليه جميعُ مَخلوقاتِه.(146)

---

(146) اختلف في معنى: ﴿الصَّمَد﴾ في هذه الآية على أقوال: الأول: هو الذي لا جوف له، ولا يأكل ولا يشرب.

الثاني: الذي لا يخرج منه شيء.

الثالث: الذي لم يلد ولم يولد.

الرابع: السيّد الذي قد انتهى في سؤدده.

الخامس: هو الباقي الذي لا يفنى.

ووجَّه ابنُ عطية (٨/ ٧١١) القول بأن المعنى: «الذي لا جوف له» بقوله: «كأنه بمعنى: المُصمَت».

ووجَّه ابنُ كثير (١٤/ ٥١٣) القول الثالث –وهو قول الربيع بن أنس، وما في معناه– بقوله: «كأنه جعل ما بعده تفسيرًا له، وهو قوله: ﴿لم يلد ولم يولد﴾».

ثم علَّق عليه بقوله: «وهو تفسير جيد».

وذكر ابنُ جرير (٢٤/ ٧٣٧) أنّ «﴿الصَّمَد﴾ عند العرب هو السيِّد الذي يُصمَد إليه، الذي لا أحد فوقَه، وكذلك تُسمِّي أشرافها.

ومنه قَوْل الشّاعر:

ألا بَكَرَ النّاعِي بِخَيْرَيْ بَنِي أسَدْ بِعَمْرِو بْنِ مَسْعُودٍ وبِالسَّيِّدِ الصَّمَد

وقال الزِّبْرِقانُ:

ولا رَهِينَةَ إلّا سَيِّدٌ صَمَدُ».

ثمَّ رجَّح القول الرابع –مستندًا إلى اللغة– قائلًا: «فإذ كان ذلك كذلك فالذي هو أولى بتأويل الكلمة: المعنى المعروف من كلام من نزل القرآن بلسانه، ولو كان حديث ابن بُرَيْدة عن أبيه صحيحًا كان أولى الأقوال بالصحة؛ لأنّ رسول الله أعلمُ بما عَنى الله –جلَّ ثناؤه–، وبما أنزَل عليه».

لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3).

أي: لم يَلِدْ أحدًا مِنَ الإنسِ والجِنِّ والملائِكةِ أو غيرِهم، ولم يَلِدْه أحدٌ؛ فهو الأوَّلُ الَّذي ليس قَبْلَه شَيءٌ.

كما قال تعالى: وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ * بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [الأنعام: 100-101].

وذكر ابنُ تيمية (٧/ ٢٨٥) أنّ معنى ﴿الصَّمَد﴾: «فيه للسلف أقوال متعددة قد يظن أنها مختلفة؛ وليس كذلك».

ورجَّح أنّ «كلّها صواب، والمشهور منها قولان: أحدهما: أنّ الصَّمَد هو الذي لا جوف له.

والثاني: أنه السيّد الذي يُصمَد إليه في الحوائج.

والأول هو قول أكثر السلف من الصحابة والتابعين وطائفة من أهل اللغة، والثاني قول طائفة من السلف والخلف وجمهور اللغويين».

وذكر (٧/ ٣٦٩) في موضع آخر هذين القولين المشهورين، ثم قال: «وكلا القولين حقّ؛ فإنّ لفظ» الصَّمَد «في اللغة يتناول هذا وهذا، والصَّمَد في اللغة: السيد؛ والصَّمَد أيضًا: المُصمد، والمُصمد: المُصمت، وكلاهما معروف في اللغة.

ولهذا قال يحيى بن أبي كثير: الملائكة صَمد، والآدميون جوف.

وهذا أيضًا دليل آخر؛ فإنه إذا كانت الملائكة – وهم مخلوقون من النور كما ثبت في صحيح مسلم عن عائشة عن النبي أنه قال: «خُلقت الملائكة من نور، وخُلق الجان من نار، وخُلق آدم مما وصف لكم» –، فإذا كانوا مخلوقين من نور؛ وهم لا يأكلون ولا يشربون، بل هم صَمد ليسوا جوفًا كالإنسان، وهم يتكلّمون ويسمعون ويُبصرون ويصعدون وينزلون كما ثبت ذلك بالنصوص الصحيحة، وهم مع ذلك لا تماثل صفاتهم وأفعالهم صفات الإنسان وفعله؛ فالخالق تعالى أعظم مباينة لمخلوقاته مِن مباينة الملائكة للآدميين؛ فإنّ كليهما مخلوق، والمخلوق أقرب إلى مشابهة المخلوق من المخلوق إلى الخالق».

وقال سُبحانَه: وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا [مريم: 88 – 95].

وقال عزَّ وجلَّ: لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [الحديد: 2–3].

وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، عن النَّبيِّ – ﷺ – قال: ((قال اللهُ: كَذَّبَني ابنُ آدَمَ ولم يكُنْ له ذلك، وشَتَمَني ولم يكُنْ له ذلك؛ فأمَّا تكذيبُه إيَّايَ فقَولُه: لن يُعيدَني كما بدأني! وليس أوَّلُ الخَلْقِ بأهْوَنَ علَيَّ مِن إعادتِه، وأمَّا شَتمُه إيَّايَ فقَولُه: اتَّخَذَ اللهُ ولَدًا! وأنا الأحَدُ الصَّمَدُ، لم ألِدْ ولم أُولَدْ، ولم يكُنْ لي كُفُئًا أحَدٌ)).(147)

وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، عن رَسولِ اللهِ – ﷺ – قال: ((اللَّهمَّ أنت الأوَّلُ فليس قَبْلَك شَيءٌ، وأنت الآخِرُ فليس بَعْدَك شَيءٌ)).(148)

---

(147) رواه البخاري (4974).

(148) رواه مسلم (2713).

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4).

أي: وليس للهِ مُساوٍ ولا نَظيرٌ، أو مَثيلٌ وشَبيهٌ.

كما قال تعالى: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ [الشورى: 11].

* * *

تَفْسِيرُ
سُورَةِ الفَلَقِ

سُورةُ الفَلَقِ

سورةُ الفَلَقِ

سُمِّيت هذه السُّورةُ بسورةِ (الفَلَقِ).(149)

وسمِّيت أيضًا قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ؛ فعن عُقْبةَ بنِ عامِرٍ رضِيَ الله عنه، قال: قال رسولُ الله – ﷺ – : ((ألم تَرَ آياتٍ أُنزِلَتِ اللَّيلةَ لم يُرَ مِثلُهنَّ قطُّ، قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، وقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ)).(150)

ويُطلَقُ عليها معَ سورةِ (النَّاسِ): (المُعَوِّذتانِ)، ومعَ (النَّاسِ والإخلاصِ): (المُعَوِّذاتُ):

فعن عُقْبةَ بنِ عامِرٍ رضِيَ الله عنه، قال: قال لي رَسولُ اللهِ – ﷺ –: ((أُنزِل، أو أُنْزِلَتْ علَيَّ آياتٌ لم يُرَ مِثْلُهنَّ قَطُّ، المُعَوِّذتَينِ).(151)

---

(149) سُمِّيت هذه السُّورةُ بذلك؛ لذِكرِ لَفظِ الفَلَقِ في أوَّلِها في قولِه: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ.

يُنظر: ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (556/1).

وسُمِّيت أيضًا مع سورةِ النَّاسِ بالمقشقشتين، أي: تبرّئان مِن النِّفاقِ.

يُنظر: ((جمال القراء وكمال الإقراء)) لعلم الدين السخاوي (ص: 94)، ((الإتقان في علوم القرآن)) للسيوطي (197/1)، ((تفسير ابن عاشور)) (623/30).

(150) أخرجه مسلم (814).

(151) منصوبٌ بفعلٍ محذوفٍ، أي: أعني: المُعَوِّذَتَينِ.

يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (169/3).

وعنه أيضًا رضيَ الله عنه، قال: ((أمَرَني رَسولُ الله – ﷺ – أن أَقرأَ بالمُعَوِّذاتِ في دُبُرِ كلِّ صَلاةٍ)).(152)

فضلها وخصائصها:

1- تستحبُّ قراءتُها في دُبُرِ كلِّ صلاةٍ:

عن عُقْبةَ بنِ عامرٍ رضيَ الله عنه، قال: ((أمَرَني رسولُ اللهِ – ﷺ – أنْ أقرَأَ بالمُعَوِّذاتِ في دُبُرِ كلِّ صَلاةٍ)).(153)

2- ما أُنزِلَ مِثلُ المُعَوِّذاتِ في التَّوراةِ ولا في الإنجيلِ ولا في الفُرقانِ:

عن عُقْبةَ بنِ عامرٍ رضيَ الله عنه، قال: ((... لَقِيتُ رسولَ اللهِ – ﷺ –، فقال لي: يا عُقْبةُ بنَ عامرٍ، ألَا أُعَلِّمُك سوَرًا ما أُنزِلَتْ في التَّوراةِ، ولا في الزَّبورِ، ولا في الإنجيلِ، ولا في الفُرقانِ مِثلُهُنَّ؟ لا يأتِيَنَّ

أخرجه مسلم (814).

(152) أخرجه أبو داودَ (1523)، والنَّسائيُّ (1336)، وأحمدُ (17417) واللَّفظُ لهم، والترمذيُّ (2903) باختلافٍ يسيرٍ.
صحَّحه ابنُ حِبَّانَ في ((صحيحه)) (2004)، وابنُ حجر في ((نتائج الأفكار)) (290/2)، والألبانيُّ في ((صحيح سنن أبي داود)) (1523)، وشعيبٌ الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (28/ 634).
وذكر ابنُ باز في ((الفوئد العلمية)) (335/6) أنَّ له طرقًا جيِّدةً.

(153) أخرجه أبو داودَ (1523)، والنَّسائيُّ (1336)، وأحمدُ (17417) واللَّفظُ لهم، والترمذيُّ (2903) باختلافٍ يسيرٍ.
صحَّحه ابنُ حِبَّانَ في ((صحيحه)) (2004)، وابنُ حجر في ((نتائج الأفكار)) (290/2)، والألبانيُّ في ((صحيح سنن أبي داود)) (1523)، وشعيبٌ الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (28/ 634).
وذكر ابنُ باز في ((الفوئد العلمية)) (335/6) أنَّ له طرقًا جيِّدةً.

عليك لَيلةٌ إلَّا قرأْتَهُنَّ فيها: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، وقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، وقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ. قال عُقْبَةُ: فما أَتَتْ عليَّ لَيلةٌ إلَّا قَرأْتُهُنَّ فيها، وحُقَّ لي ألَّا أَدَعَهُنَّ وقد أَمَرَني بِهِنَّ رسولُ اللهِ – ﷺ –)).(154)

3- مَن قَرأَ المُعَوِّذاتِ حينَ يُمسِي وحينَ يُصبِحُ ثلاثًا تَكفِيه مِن كلِّ شَيءٍ:

عن عبدِ الله بنِ خُبَيْبٍ رضيَ اللهُ عنه، قال: ((خرَجْنا في لَيلةٍ مَطِيرةٍ وظُلْمةٍ شديدةٍ نَطلُبُ رَسولَ اللهِ – ﷺ – يُصلِّي لنا، فأدرَكْتُه فقال: قُلْ. فلمْ أَقُلْ شيئًا، ثمَّ قال: قُلْ. فلمْ أقُلْ شيئًا، ثمَّ قال: قُلْ. قلتُ: ما أقولُ؟ قال: قُلْ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، والمُعَوِّذَتَينِ حينَ تُمْسي وحينَ تُصبِحُ ثلاثَ مرَّاتٍ تَكفيك مِن كلِّ شَيءٍ)).(155)

4- كان النَّبيُّ – ﷺ – إذا اشتَكى رقَى نفسَه بالمُعَوِّذاتِ:

---

(154) أخرجه أحمدُ (17452) واللَّفظُ له، وهَنَّادٌ في ((الزهد)) (2/493)، وابنُ أبي الدنيا في ((مكارم الأخلاق)) (20) كلاهما مختصرًا.

صحَّح إسنادَه الألبانيُّ في ((سلسلة الأحاديث الصحيحة)) (6/859)، وحسَّن إسنادَه شعيبٌ الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (28/655)، ووثَّق رجالَه الهَيْثَميُّ في ((مجمع الزوائد)) (7/151)، والشَّوكانيُّ في ((تحفة الذاكرين)) (ص: 444).

(155) أخرجه أبو داودَ (5082)، والترمذيُّ (3575) واللَّفظُ له، والنَّسائيُّ (5428)، وعبدُ الله بنُ أحمدَ في ((زوائد المسند)) (22664).

صحَّحه ابنُ دقيقِ العيدِ في ((الاقتراح)) (ص: 128)، وحسَّنه ابنُ حجر في ((نتائج الأفكار)) (2/345)، والألبانيُّ في ((صحيح سنن أبي داود)) (5082)، وصحَّح إسنادَه النوويُّ في ((الأذكار)) (ص: 107)، وحسَّنه ابنُ باز في ((مجموع فتاواه)) (26/26).

عن عائشةَ رضيَ الله عنها: ((أنَّ رسولَ اللهِ – ﷺ – كان إذا اشتَكى يَقرأُ على نفْسِه بالمُعَوِّذاتِ ويَنْفُثُ، فلمَّا اشْتَدَّ وَجَعُه كنتُ أقرَأُ عليه وأمْسَحُ بيَدِه؛ رجاءَ بَرَكَتِها)).(156)

5- كان النَّبيُّ – ﷺ – يُعوِّذُ نفْسَه بالمُعَوِّذاتِ إذا أوَى إلى فِراشِه:

عن عائشةَ رضيَ الله عنها: ((أنَّ النَّبيَّ – ﷺ – كان إذا أوَى إلى فِراشِه كُلَّ لَيلةٍ جَمَع كَفَّيْه، ثُمَّ نَفَثَ فيهما فقَرَأَ فيهما: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وقُلْ أعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ وقُلْ أعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، ثُمَّ يَمسَحُ بهما ما اسْتَطاع مِن جَسَدِه، يَبْدَأُ بهما على رَأْسِه ووَجْهِه وما أقْبَلَ مِن جَسَدِه، يَفعَلُ ذلك ثلاثَ مرَّاتٍ)).(157)

6- آياتُ سورتَيِ الفَلَقِ والنَّاسِ لم يُرَ مِثلُهنَّ فيما أُنزِل على النَّبيِّ – ﷺ –:

عن عُقْبةَ بنِ عامرٍ رضيَ الله عنه، قال: قال رسولُ الله – ﷺ –: ((ألم تَرَ آياتٍ أُنزِلَتِ اللَّيلةَ لم يُرَ مِثلُهنَّ قَطُّ،(158) قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، وقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ)).(159)

7- أمرُ النَّبيِّ – ﷺ – بقراءتِها مع سورةِ النَّاسِ لَمَّا سُحِر:

---

(156) أخرجه البخاري (5016)، ومسلم (2192).

(157) أخرجه البخاري (5017).

(158) ((لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ)): أي: في بابِهما وهو التَّعَوُّذُ.
يُنظر: ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (4/ 1467).

(159) أخرجه مسلم (814).

عن زَيْدِ بنِ أرْقَمَ رضيَ الله عنه، قال: ((سَحَرَ النَّبيَّ – ﷺ – رجُلٌ مِن اليَهودِ، فاشْتَكى، فأتاهُ جِبريلُ –عليه السَّلامُ– بالمُعوِّذَتيْنِ، وقال: إنَّ رجُلًا مِن اليَهودِ سحَرَكَ، والسِّحرُ في بِئرِ فُلانٍ، فأرسَلَ علِيًّا، فجاءَ به، فأمَرَه أنْ يَحُلَّ العُقَدَ، ويَقرَأَ آيةً، فجعَلَ يقرأُ ويَحُلُّ، حتَّى قام النَّبيُّ – ﷺ – كأنَّما أُنشِطَ مِن عِقالٍ،(160) فما ذكَرَ النَّبيُّ – ﷺ – لذلك اليَهوديِّ شيئًا ممَّا صنَعَ، ولا أراهُ في وَجْهِه)).(161)

سورةُ الفَلَقِ، مُختلَفٌ فيها؛ فقيل: مكِّيَّةٌ، وقيل: مَدَنيَّةٌ.(162)

مِن أهَمِّ مقاصِدِ هذه السُّورةِ:

---

(160) أُنشِط مِن عِقالٍ: أي: حُلَّ مِن وَثاقٍ.
يُنظر: ((معالم السنن)) للخطَّابي (3/102).

(161) أخرجه عبدُ بنُ حُميد (271)، والطَّحاويُّ في ((شرح مشكل الآثار)) (5935).
قال شعيبٌ الأرناؤوطُ في تخريج ((شرح مشكل الآثار)) (5935): إسنادُه على شرطِ مسلمٍ.
والحديث أخرجه دونَ ذِكْرِ المعوِّذتَين: النَّسائيُّ (4080)، وأحمدُ (19286).
صحَّحه الألبانيُّ في ((سلسلة الأحاديث الصحيحة)) (2761)، والوادعيُّ في ((الصحيح المسند)) (351).

(162) ممَّن اختار أنَّها مكِّيَّةٌ: مقاتلُ بنُ سُليمانَ، والزَّجَّاجُ، والسمرقنديُّ، والواحدي، والسمعاني، والزمخشري، وابن جُزَي، وأبو السعود، والقاسمي، والسعدي، وابن عاشور.
يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (4/931)، ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (5/379)، ((تفسير السمرقندي)) (3/636)، ((الوسيط)) للواحدي (4/572)، ((تفسير السمعاني)) (6/305)، ((تفسير الزمخشري)) (4/820)، ((تفسير ابن جزي)) (2/526)، ((تفسير أبي السعود)) (9/214)، ((تفسير القاسمي)) (9/574)، ((تفسير السعدي)) (ص: 937)، ((تفسير ابن عاشور)) (30/624).
وممَّن اختار أنَّها مَدَنيَّةٌ: الثعلبيُّ، ومكِّي، والبغوي، وابن الجوزي، والرازي، والخازن، وابن كثير، والفيروزابادي، والعُلَيمي.
يُنظر: ((تفسير الثعلبي)) (10/337)، ((الهداية إلى بلوغ النهاية)) لمكي (12/8505)، ((تفسير البغوي)) (5/332)، ((تفسير ابن الجوزي)) (4/ 507)، ((تفسير الرازي)) (32/369)، ((تفسير الخازن)) (4/499)، ((تفسير ابن كثير)) (8/530)، ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (1/556)، ((تفسير العليمي)) (7/463).

الاسْتِعاذةُ مِن جميعِ أنواعِ الشُّرورِ عُمومًا وخُصوصًا.

مِن أهمِّ الموضوعاتِ الَّتي اشتَمَلَتْ عليها هذه السُّورةُ:

الاستعاذةُ باللهِ مِن الشُّرورِ، والأوقاتِ الَّتي يَكثُرُ فيها حُدوثُ الشَّرِّ، ومِن شرِّ السَّحَرةِ والحاسِدينَ.

* * *

سورةُ الفَلَقِ

الآيات (1–5)

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (1) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (2) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (3) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (4) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (5)

غريب الكلمات:

الْفَلَقِ: أي: الصُّبحِ المتصَدّعِ عن الظُّلمةِ، وأصلُ (فلق): يدُلُّ على فُرجةٍ في الشَّيءِ.

غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ: أي: اللَّيلِ المُظلِم إذا دَخَل واشتدَّ ظَلامُه، وأصلُ (غسق): يدُلُّ على ظُلمةٍ، وأصلُ (وقب): يدُلُّ على غَيبةِ شَيءٍ.

النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ: أي: السَّواحِرِ اللَّاتي يَنفُثْنَ في عُقَدِ الخَيطِ حينَ يَرقِينَ عليها. والنَّفْثُ: النَّفخُ؛ قيل: مع ريقٍ، وقيل: بدونِ ريقٍ، وأصلُ (نفث): يدُلُّ على خُروجِ شَيءٍ مِن فَمٍ، وأصلُ (عقد): يدُلُّ على شَدٍّ.

* * *

تفسير الآيات:

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (1).

سَبَبُ النُّزولِ:

عن زَيدِ بنِ أرقَمَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((سَحَرَ النَّبيَّ – ﷺ – رجُلٌ مِن اليَهودِ، فاشتكى، فأتاه جِبريلُ، فنزَل عليه بالمعَوِّذتَينِ وقال: إنَّ رجُلًا مِنَ اليَهودِ سحَرَك، والسِّحرُ في بئرِ فُلانٍ، فأرسَلَ عليًّا فجاء به، فأمَرَه أن يَحُلَّ العُقَدَ، ويَقرَأَ آيةً، فجعَل يَقرأُ ويَحُلُّ، حتَّى قام النَّبيُّ – ﷺ – كأنَّما أُنشِطَ مِن عِقالٍ، فما ذكَرَ رَسولُ اللهِ – ﷺ – لذلك اليَهوديِّ شَيئًا مِمَّا صنَع به، ولا أراه في وَجْهِه!)).(163)

وعن عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عنها، قالت: ((سَحَرَ رَسولَ اللهِ – ﷺ – يَهوديٌّ مِن يَهودِ بني زُرَيْقٍ، يُقالُ له: لَبِيدُ بنُ الأعصَمِ، حتَّى كان رَسولُ اللهِ – ﷺ – يُخَيَّلُ إليه أنَّه يَفعَلُ الشَّيءَ وما يَفعَلُه، حتَّى إذا كان ذاتَ يومٍ أو ذاتَ لَيلةٍ دعا رسولُ اللهِ – ﷺ –، ثُمَّ دعا، ثُمَّ دعا، ثُمَّ قال: يا عائِشةُ، أشَعَرْتِ أنَّ اللهَ أفتاني فيما استَفتَيتُه فيه؟ جاءني رجُلانِ فقعَد أحدُهما عندَ رأسي، والآخَرُ عندَ رِجلَيَّ، فقال الَّذي عندَ رأسي للَّذي عندَ رِجْليَّ، أو الَّذي عند رِجْليَّ للَّذي عندَ رأسي: ما وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قال:

---

(163) أخرجه عبدُ بنُ حُمَيد (271)، والطَّحاويُّ في ((شرح مشكل الآثار)) (5935).
قال شعيبٌ الأرناؤوطُ في تخريج ((شرح مشكل الآثار)) (5935): (إسنادُه على شرطِ مسلمٍ).
والحديث أخرجه دونَ ذِكْرِ المعوِّذتَين: النَّسائيُّ (4080)، وأحمدُ (19286).
صحَّحه الألبانيُّ في ((سلسلة الأحاديث الصحيحة)) (2761)، والوادعيُّ في ((الصحيح المسند)) (351).

مَطبوبٌ، قال: مَن طَبَّه؟ قال: لَبِيدُ بنُ الأعصَمِ، قال: في أيِّ شَيءٍ؟ قال: في مُشْطٍ ومُشاطةٍ، قال: وَجُفِّ طَلْعةِ ذَكَرٍ، قال: فأين هو؟ قال: في بئرِ ذي أروانَ، فأتاها رسولُ اللهِ – ﷺ – في أُناسٍ مِن أصحابِه، ثمَّ قال: يا عائِشةُ، واللهِ لَكأنَّ ماءَها نُقاعةُ الحِنَّاءِ، ولَكَأنَّ نَخْلَها رُؤوسُ الشَّياطينِ. فقُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، أفلا أحرَقْتَه؟ قال: لا، أمَّا أنا فقد عافاني اللهُ، وكَرِهْتُ أن أُثيرَ على النَّاسِ شَرًّا؛ فأَمَرْتُ بها فدُفِنَت)).(164)

---

(164) رواه البخاري (3268)، ومسلم (2189) واللَّفظُ له.

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (1).

أي: قُلْ -يا محمَّدُ- متعَوِّذًا باللهِ وَحْدَه: ألتجِئُ وأستجيرُ بخالِقِ الصَّباحِ المتصَدِّعِ عن الظُّلمةِ.(165)

كما قال تعالى: فَالِقُ الْإِصْبَاحِ [الأنعام: 96].

وعن زِرِّ بنِ حُبَيشٍ، قال: ((سألْتُ أُبَيَّ بنَ كَعبٍ عن المعَوِّذتَينِ؟ فقال: سألتُ رَسولَ اللهِ - ﷺ - فقال: قيل لي، فقُلتُ. فنحن نقولُ كما قال رَسولُ اللهِ - ﷺ -)).(166)

---

(165) اختُلف في معنى: «الفلق» في هذه الآية على أقوال: الأول: سجنٌ في جهنم.

الثاني: اسم من أسماء جهنم.

الثالث: الصُّبح.

الرابع: الخَلْق.

ورجَّح ابنُ جرير (٢٤/ ٧٤٥) القول الثالث -مستندًا إلى اللغة- وهو قول ابن عباس من طريق العَوفيّ، وما في معناه، فقال: «والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنّ الله -جلّ ثناؤه- أمر نبيَّه محمدًا أن يقول: ﴿أعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ﴾، والفَلَق في كلام العرب: فَلَقُ الصُّبح، تقول العرب: هو أبْيَنُ من فَلَقِ الصُّبح، ومن فَرَقِ الصُّبح».

ثم بيَّن جواز الأقوال الأخرى وغيرها مما يندرج تحت معنى الفَلَق، فقال: «وجائزٌ أن يكون في جهنم سجنٌ اسمه: فَلَقٌ، وإذا كان ذلك كذلك ولم يكن -جلّ ثناؤه- وضع دلالةً على أنه عنى بقوله: ﴿بِرَبِّ الفَلَقِ﴾ بعض ما يُدْعى الفَلَق دون بعض، وكان الله -تعالى ذِكْره- ربَّ كلِّ ما خلق من شيء، وجب أن يكون معنيًّا به كل ما اسْمُه الفلق؛ إذ كان رب جميع ذلك».

وكذا رجَّح ابنُ كثير (١٤/ ٥٢٣) أنه الصبح قائلًا: «وهو الصحيح، وهو اختيار البخاري: في صحيحه».

ولم يذكر مستندًا.

وانتقد ابنُ تيمية (٧/ ٣٨٧) -مستندًا إلى الدلالة العقلية- القول الأول والثاني قائلًا: «وأمّا مَن قال: إنه واد في جهنم، أو شجرة في جهنم، أو أنه اسم من أسماء جهنم، فهذا أمر لا تُعرف صحته، لا بدلالة الاسم عليه، ولا بنقل عن النبي، ولا في تخصيص ربوبيته بذلك حكمه، بخلاف ما إذا قال: ربّ الخَلْق، أو ربّ كلّ ما انفلق، أو ربّ النور الذي يُظهره على العباد بالنهار، فإنّ في تخصيص هذا بالذِّكر ما يظهر به عظمة الرّبّ المستعاذ به».

(166) رواه البخاري (4976).

مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (2).

أي: ألتجِئُ وأستجيرُ باللهِ مِن شَرِّ كُلِّ مخلوقٍ فيه شَرٌّ؛ مِنَ الإنسِ والجِنِّ، والحيواناتِ والرِّياحِ، وغيرِ ذلك.

عن أبي سَعيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((كان رَسولُ اللهِ - ﷺ - يتعوَّذُ مِن الجانِّ وعَينِ الإنسانِ، حتَّى نزَلَت المعَوِّذتانِ، فلَمَّا نزَلَتا أخَذَ بهما، وتَرَك ما سِواهما)).(167)

وعن خَوْلَةَ بنتِ حَكيمٍ السُّلَميَّةِ رَضِيَ اللهُ عنها، قالت: سَمِعتُ رَسولَ اللهِ - ﷺ - يقولُ: ((مَن نَزَلَ مَنزِلًا ثمَّ قال: أعوذُ بكَلِماتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِن شَرِّ ما خَلَق، لم يَضُرَّه شَيءٌ حتَّى يَرتحِلَ مِن مَنزِلِه ذلك)).(168)

وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((جاء رجُلٌ إلى النَّبيِّ - ﷺ - فقال: يا رَسولَ اللهِ، ما لَقِيتُ مِن عَقربٍ لَدَغَتْني البارِحةَ! قال: أمَا لو قُلْتَ حينَ أمسَيتَ: أعوذُ بكَلِماتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِن شَرِّ ما خَلَق، لم تَضُرَّك)).(169)

---

(167) أخرجه الترمذيُّ (2058) واللَّفظُ له، والنَّسائيُّ (5494)، وابنُ ماجه (3511).

قال الترمذي: (حسَنٌ غريبٌ).

وصَحَّحه الألبانيُّ في ((صحيح سنن الترمذي)) (2058)، وصحَّح إسنادَه شعيبٌ الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (468/24).

(168) رواه مسلم (2708).

(169) رواه مسلم (2709).

وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (3).

أي: وأعوذُ باللهِ مِن شَرِّ اللَّيلِ إذا دَخَل واشتدَّ ظَلَامُه، وأعوذُ باللهِ مِن آيتِه وهو القمرُ.(170)

---

(170) اختُلف في معنى: «الغاسق إذا وقب» على أقوال: الأول: الليل إذا أظلم.

الثاني: النهار إذا دخل في الليل.

الثالث: الكوكب، وهو الثُّريّا إذا سقطتْ، وكانت الأسقام والطواعين تكثر عند وقوعها، وترتفع عن طلوعها.

الرابع: هو القمر.

وعلَّق ابنُ تيمية (٧/ ٣٩١) على القول الثالث بقوله: «ويشبه –والله أعلم– أن يكون من الحكمة في ذلك: أنّ النور هو جنس الخير، والظُّلمة جنس الشّرّ، وفي الليل يقع من الشرور النفسانية ما لا يقع في النهار، والقمر له تأثير في الأرض لا سيما حال كسوفه؛ فإنّ النبي قال: «إنهما آيتان يخوّف الله بهما عباده».

والتخويف إنما يكون بانعقاد سبب الخوف، ولا يكون ذلك إلا عند سبب العذاب أو مظنّته، فعُلم أنّ الكسوف مظنّة حدوث عذاب بأهل الأرض، ولهذا شُرع عند الكسوف الصلاة الطويلة والصدقة والعتاقة والدعاء لدفْع العذاب، وكذلك عند سائر الآيات التي هي إنشاء العذاب كالزلزلة، وظهور الكواكب وغير ذلك، وهو أقرب الكواكب التي لها تأثير في الأرض بالترطيب واليبس وغير ذلك».

ووجَّهه ابنُ القيم (٣/ ٤٠٨) بقوله: «إنْ أراد صاحب هذا القول اختصاص الغاسق بالنجم إذا غرب فباطل، وإنْ أراد: أنّ اسم الغاسق يتناول ذلك بوجه ما؛ فهذا يحتمل أن يدل اللفظ عليه بفحواه ومقصوده وتنبيهه، وأمّا أن يختص اللفظ به فباطل».

وعلَّق ابنُ كثير (١٤/ ٥٢٤) على القول الرابع بقوله: «وعمدة أصحاب هذا القول ما رواه الإمام أحمد...».

ثم ذكر حديث عائشة الوارد في أول تفسير الآية.

ورجَّح ابنُ جرير (٢٤/ ٧٤٩) العموم، فقال: «وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يُقال: إنّ الله أمر نبيَّه أن يستعيذ من شرِّ ﴿غاسِقٍ﴾ وهو الذي يُظلِم، يقال: قد غَسَقَ الليل يَغْسِق غُسوقًا: إذا أظلم، ﴿إذا وقَبَ﴾ يعني: إذا دخل في ظلامه؛ والليل إذا دَخَل في ظلامه غاسق، والنجم إذا أفَل غاسق، والقمر غاسقٌ إذا وقب، ولم يَخْصُص بعض ذلك بل عمَّ الأمر بذلك، فكلُّ غاسق فإنه كان يُؤْمَرُ بالاستعاذة من شرِّه إذا وقب».

ونقل ابنُ عطية (٨/ ٧١٥) عن القتبي وغيره أنّ «الغاسق إذا وقب»: «هو البدر إذا دخل في ساهوره فخسف».

واستدل أصحاب القول الثالث بحديث أبي هريرة الوارد في تفسير الآية وفيه: «النجم: الغاسق».

واستدل أصحاب القول الرابع بحديث عائشة الوارد في أول تفسير الآية.

وعلَّق عليهما ابنُ تيمية (٧/ ٣٨٨) بقوله: «وهذا المرفوع قد ظنّ بعض الناس منافاته لمن فسّره بالليل؛ فجعلوه قولًا آخر، ثم فسّروا وقوبه بسكونه.

كما قال تعالى: أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ [الإسراء: 78].

وعن عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عنها: ((أنَّ النَّبيَّ – ﷺ – نَظَرَ إلى القَمَرِ فقال: يا عائِشةُ، استَعيذي باللهِ مِن شَرِّ هذا؛ فإنَّ هذا هو الغاسِقُ إذا وَقَب)).(171)

قال ابن قتيبة: ويقال الغاسق: القمر إذا كسف واسوَدّ.

ومعنى وقب: دخل في الكسوف، وهذا ضعيف، فإنّ ما قال رسول الله لا يُعارض بقول غيره، وهو لا يقول إلا الحقّ، وهو لم يأمر عائشة بالاستعاذة منه عند كسوفه، بل مع ظهوره، وقد قال الله تعالى: ﴿وجَعَلْنا اللَّيْلَ والنَّهارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنا آيَةَ اللَّيْلِ وجَعَلْنا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢].

فالقمر آية الليل، وكذلك النجوم إنما تطلع فتُرى بالليل، فأمره بالاستعاذة من ذلك أمر بالاستعاذة من آية الليل ودليله وعلامته، والدليل مستلزم للمدلول، فإذا كان شرّ القمر موجودًا فشَرّ الليل موجود، وللقمر من التأثير ما ليس لغيره، فتكون الاستعاذة من الشّرّ الحاصل عنه أقوى، ويكون هذا كقوله عن المسجد المؤسس على التقوى: «هو مسجدي هذا».

مع أنّ الآية تتناول مسجد قباء قطعًا.

وكذلك قوله عن أهل الكساء: «هؤلاء أهل بيتي».

مع أنّ القرآن يتناول نساءه، فالتخصيص لكون المخصوص أولى بالوصف، فالقمر أحقّ ما يكون بالليل بالاستعاذة».

ووافقه ابنُ القيم (٣/ ٤٠٦، ٤٠٧).

وذكر ابنُ كثير (١٤/ ٥٢٥) نحو هذا مختصرًا.

(171) أخرجه الترمذيُّ (3366)، والنسائيُّ في ((السنن الكبرى)) (10137)، وأحمدُ (25802).

قال الترمذي: (حسَنٌ صحيحٌ)، وكذا قال الألبانيُّ في ((صحيح سنن الترمذي)) (3366).

وصَحَّحه ابنُ العربي في ((عارضة الأحوذي)) (409/6)، وقال ابن حجر –كما في ((الفتوحات الربانية)) لابن علان (334/4)–: (حسَنٌ غريبٌ)، وحسَّنه شعيبٌ الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (379/40).

وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (4).

أي: وأعوذُ باللهِ مِن شَرِّ السَّاحِراتِ اللَّاتي يَنفُثْنَ في عُقَدِ الخُيوطِ وما أشبَهَها؛ حتَّى ينعَقِدَ ما أرَدْنَه مِنَ السِّحرِ.

كما قال الله سبحانه وتعالى: وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ [البقرة: 102].

وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (5).

أي: وأعوذُ باللهِ مِن شَرِّ كُلِّ حاسِدٍ مِن الإنسِ والجِنِّ يتمَنَّى زَوالَ نِعمةِ اللهِ عن غَيرِه، إذا حَسَده وأراده بسُوءٍ بعَينِه الخبيثةِ، أو بقَولِه أو بفِعْلِه.(172)

---

(172) اختُلف في معنى: «الحاسد» على قولين: الأول: أنه كلّ حاسد أُمِرَ النبي أن يستعيذ من شرّ عينه ونفسه.

الثاني: أنهم اليهود الذين حسدوا النبي، فأُمِر أن يستعيذ من شرّهم.

ووجَّه ابنُ عطية (٨/ ٧١٦) القول الأول –وهو قول قتادة وما في معناه– بقوله: «يريد: السعي الخبيث والإذاية كيف قدر؛ لأنه عدوٌّ مجدٌّ ممتحن».

ورجَّح ابنُ جرير (٢٤/ ٧٥٢) العموم، فقال: «وأولى القولين بالصواب في ذلك قول مَن قال: أُمِر النبي أن يستعيذ من شرِّ كلِّ حاسدٍ إذا حسد، فعابه أو سحره، أو بغاه سوءًا».

ثم علَّل ذلك بقوله: «لأنّ الله – عز وجل – لم يَخْصُص من قوله: ﴿ومِن شَرِّ حاسِدٍ إذا حَسَدَ﴾ حاسدًا دون حاسد، بل عمَّ أمْرَه إيّاه بالاستعاذة من شرِّ كلِّ حاسد، فدل ذلك على عمومه».

عن عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عنها، قالت: ((كان إذا اشتكى رَسولُ اللهِ - ﷺ - رقاه جِبريلُ، قال: باسْمِ اللهِ يُبْرِيك، ومِن كُلِّ داءٍ يَشْفيك، ومِن شَرِّ حاسِدٍ إذا حَسَد، وشَرِّ كُلِّ ذي عَينٍ)).(173)

---

(173) رواه مسلم (2185).

تَفْسِيرُ
سُورَةِ النَّاسِ

سُورةُ النَّاسِ

سورةُ النَّاسِ

سُمِّيت هذه السُّورةُ بسُورةِ (النَّاسِ).(174)

وسُمِّيت أيضًا بسورةِ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ؛ فعن عُقْبةَ بنِ عامرٍ رضيَ اللهُ عنه، قال: قال رسولُ الله – ﷺ –: ((ألم ترَ آياتٍ أُنزِلَتِ اللَّيلةَ لم يُرَ مِثلُهنَّ قطُّ، قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، وقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ)).(175)

وتُسمَّى بالمُعَوِّذَتينِ هي وسُورةُ (الفَلَقِ)، وبالمُعَوِّذاتِ هي وسُورةُ (الفَلقِ) و(الإخلاصِ)؛ فعن عُقْبةَ بنِ عامرٍ رضيَ اللهُ عنه، قال: قال لي رَسولُ اللهِ – ﷺ –: ((أُنْزِل، أو أُنزِلَتْ علَيَّ آياتٌ لم يُرَ مِثْلُهنَّ قَطُّ، المُعوِّذتَينِ)).(176)

---

(174) سُمِّيت هذه السورةُ بذلك؛ لتَكرارِ لَفظِ النَّاسِ فيها خَمْسَ مرَّاتٍ.
يُنظر: ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (557/1).
وتقدَّم أنَّها تسمَّى هي وسورةُ الفلقِ بالمقشقشتينِ.

(175) أخرجه مسلم (264/814).

(176) أخرجه مسلم (265/814).

وعنه أيضًا قال: ((أمَرَنِي رسولُ اللهِ – ﷺ – أنْ أقرَأَ بالمُعوِّذاتِ في دُبُرِ كلِّ صَلاةٍ)).[177]

فضائل السورة وخصائصها:

1- تستحبُّ قِراءَتُها في دُبُرِ كلِّ صَلاةٍ:

عن عُقْبَةَ بنِ عامرٍ رضيَ اللهُ عنه، قال: ((أمَرَنِي رسولُ اللهِ – ﷺ – أنْ أقرَأَ بالمُعوِّذاتِ في دُبُرِ كلِّ صَلاةٍ)).[178]

2- ما أُنزِلَ مِثلُ المُعَوِّذاتِ في التَّوراةِ ولا في الإنجيلِ ولا في الفُرقانِ:

عن عُقْبَةَ بنِ عامرٍ رضيَ اللهُ عنه، قال: ((... لَقِيتُ رسولَ اللهِ – ﷺ –، فقال لي: يا عُقْبَةُ بنَ عامِرٍ، ألَا أُعَلِّمُك سوَرًا ما أُنزِلَتْ في التَّوراةِ، ولا في الزَّبورِ، ولا في الإنجيلِ، ولا في الفُرقانِ مِثلُهُنَّ؟ لا يأتِيَنَّ عليك لَيلةٌ إلَّا قَرأْتَهُنَّ فيها: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ،

---

[177] أخرجه أبو داودَ (1523)، والنَّسائيُّ (1336)، وأحمدُ (17417) واللَّفظُ لهم، والترمذيُّ (2903) باختلافٍ يسيرٍ.
صحَّحه ابنُ حِبَّانَ في ((صحيحه)) (2004)، وابنُ حجر في ((نتائج الأفكار)) (290/2)، والألبانيُّ في ((صحيح سنن أبي داود)) (1523)، وشعيبُ الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (28/ 634).
وذكر ابنُ باز في ((الفوئد العلمية)) (335/6) أنَّ له طرقًا جيّدةً.

[178] أخرجه أبو داودَ (1523)، والنَّسائيُّ (1336)، وأحمدُ (17417) واللَّفظُ لهم، والترمذيُّ (2903) باختلافٍ يسيرٍ.
صحَّحه ابنُ حِبَّانَ في ((صحيحه)) (2004)، وابنُ حجر في ((نتائج الأفكار)) (290/2)، والألبانيُّ في ((صحيح سنن أبي داود)) (1523)، وشعيبُ الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (28/ 634).
وذكر ابنُ باز في ((الفوئد العلمية)) (335/6) أنَّ له طرقًا جيّدةً.

وقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، وقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ. قال عُقْبةُ: فما أَتَتْ علَيَّ لَيلةٌ إلَّا قَرأْتُهُنَّ فيها، وحُقَّ لي ألَّا أَدَعَهُنَّ وقد أَمَرَني بِهِنَّ رسولُ اللهِ - ﷺ -)).(179)

3- مَن قَرأَ المُعَوِّذاتِ حينَ يُمسِي وحينَ يُصبِحُ ثلاثًا تَكفِيه مِن كلِّ شَيءٍ:

عن عبدِ اللهِ بنِ خُبَيْبٍ رضيَ اللهُ عنه، قال: ((خرَجْنا في لَيلةٍ مَطِيرةٍ وظُلْمةٍ شديدةٍ نَطلُبُ رَسولَ اللهِ - ﷺ - يُصَلِّي لنا، فأدرَكْتُه فقال: قُلْ. فلمْ أَقُلْ شيئًا، ثمَّ قال: قُلْ. فلمْ أقُلْ شيئًا، ثمَّ قال: قُلْ. قلتُ: ما أقولُ؟ قال: قُلْ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، والمُعَوِّذَتَيْنِ حينَ تُمْسي وحينَ تُصبِحُ ثلاثَ مرَّاتٍ تَكفيكَ مِن كلِّ شَيءٍ)).(180)

4- كان النَّبيُّ - ﷺ - إذا اشتَكى رقَى نفْسَه بالمُعَوِّذاتِ:

---

(179) أخرجه أحمدُ (17452) واللَّفظُ له، وهَنَّادٌ في ((الزهد)) (493/2)، وابنُ أبي الدنيا في ((مكارم الأخلاق)) (20) كلاهما مختصرًا.

صحَّح إسنادَه الألبانيُّ في ((سلسلة الأحاديث الصحيحة)) (859/6)، وحسَّن إسنادَه شعيبُ الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (655/28)، ووثَّق رجالَه الهَيْثَميُّ في ((مجمع الزوائد)) (151/7)، والشَّوكانيُّ في ((تحفة الذاكرين)) (ص: 444).

(180) أخرجه أبو داودَ (5082)، والترمذيُّ (3575) واللَّفظُ له، والنَّسائيُّ (5428)، وعبدُ اللهِ بنُ أحمدَ في ((زوائد المسند)) (22664).

صحَّحه ابنُ دقيقِ العيدِ في ((الاقتراح)) (ص: 128)، وحسَّنه ابنُ حجر في ((نتائج الأفكار)) (345/2)، والألبانيُّ في ((صحيح سنن أبي داود)) (5082)، وصحَّح إسنادَه النوويُّ في ((الأذكار)) (ص: 107)، وحسَّنه ابنُ باز في ((مجموع فتاواه)) (26/26).

عن عائشةَ رضيَ الله عنها: ((أنَّ رسولَ اللهِ – ﷺ – كان إذا اشْتَكى يَقرأُ على نفْسِه بالمُعَوِّذاتِ ويَنْفُثُ، فلمَّا اشْتَدَّ وَجعُه كنتُ أقرَأُ عليه وأمْسَحُ بيَدِه؛ رجاءَ برَكَتِها)).(181)

5– كان النَّبيُّ – ﷺ – يُعوِّذُ نفسَه بالمُعَوِّذاتِ إذا أوَى إلى فِراشِه:

عن عائشةَ رضيَ الله عنها: ((أنَّ النَّبيَّ – ﷺ – كان إذا أوَى إلى فِراشِه كُلَّ لَيلةٍ جَمَع كَفَّيْه، ثُمَّ نَفَث فيهما فقَرَأ فيهما: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ وقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، ثُمَّ يَمَسَحُ بهما ما اسْتَطاع مِن جَسَدِه، يَبْدَأُ بهما على رَأْسِه ووَجْهِه وما أقْبَلَ مِن جَسَدِه، يَفعَلُ ذلك ثلاثَ مرَّاتٍ)).(182)

6– لم يُرَ مِثلُ آياتِ سورتَيِ الفَلَقِ والنَّاسِ فيما أُنزِل على النَّبيِّ – ﷺ –:

عن عُقْبةَ بنِ عامرٍ رضيَ الله عنه، قال: قال رسولُ الله – ﷺ –: ((ألم تَرَ آياتٍ أُنزِلتِ اللَّيلةَ لم يُرَ مِثلُهنَّ قَطُّ، قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، وقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ)).(183)

7– أُمِر النَّبيُّ – ﷺ – بقراءتِها مع سورةِ الفَلَقِ لَمَّا سُحِر:

---

(181) أخرجه البخاري (5016)، ومسلم (2192).

(182) أخرجه البخاري (5017).

(183) أخرجه مسلم (814).

عن زَيدِ بنِ أرْقَمَ رضيَ اللهُ عنه، قال: ((سَحَرَ النَّبيَّ – ﷺ – رجُلٌ مِن اليَهودِ، فاشْتَكى، فأَتاهُ جِبريلُ –عليه السَّلامُ– بالمُعوِّذتَيْنِ، وقال: إنَّ رجُلًا مِن اليَهودِ سَحَرَك، والسِّحرُ في بِئرِ فُلانٍ، فأرسَلَ عليًّا، فجاءَ به، فأمَرَه أنْ يَحُلَّ العُقَدَ، ويَقرَأَ آيةً، فجعَلَ يَقرأُ ويَحُلُّ حتَّى قام النَّبيُّ – ﷺ – كأنَّما أُنشِطَ مِن عِقالٍ، فما ذكَرَ النَّبيُّ – ﷺ – لذلك اليَهوديِّ شيئًا ممَّا صنَعَ، ولا أراهُ في وَجْهِه)).(184)

سُورةُ النَّاسِ مُختلَفٌ فيها؛ فقيلَ: مكِّيَّةٌ، وقيلَ: مَدَنيَّةٌ.(185)

---

(184) أخرجه عبدُ بنُ حُمَيد (271)، والطَّحاويُّ في ((شرح مشكل الآثار)) (5935).
قال شعيبٌ الأرناؤوطُ في تخريج ((شرح مشكل الآثار)) (5935): (إسنادُه على شرطِ مسلمٍ).
والحديث أخرجه دونَ ذِكْرِ المعوِّذتَين: النَّسائيُّ (4080)، وأحمدُ (19286).
صحَّحه الألبانيُّ في ((سلسلة الأحاديث الصحيحة)) (2761)، والوادعيُّ في ((الصحيح المسند)) (351).

(185) ممَّن اختار أنَّها مكِّيَّةٌ: مقاتلُ بنُ سُليمانَ، والزَّجَّاجُ، والسمرقنديُّ، والواحديُّ، والزمخشري، وابنُ جُزَي، وابن عادل، والشربيني، وأبو السعود، والقاسمي، وابن عاشور.
يُنظر: ((تفسير مقاتل ابن سليمان)) (941/4)، ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (381/5)، ((تفسير السمرقندي)) (638/3)، ((الوسيط)) للواحدي (575/4)، ((تفسير الزمخشري)) (4/ 823)، ((تفسير ابن جزي)) (529/2)، ((تفسير ابن عادل)) (576/20)، ((تفسير الشربيني)) (615/4)، ((تفسير أبي السعود)) (216/9)، ((تفسير القاسمي)) (579/9)، ((تفسير ابن عاشور)) (631/30).
وممَّن اختار أنَّها مَدَنيَّةٌ: الماتُريديُّ، والثعلبيُّ، ومكِّيٌّ، والسمعاني، والبغوي، والرازي، والخازن، وابن كثير، والعُلَيمي، والفيروزابادي، والسعدي.
يُنظر: ((تفسير الماتريدي)) (659/10)، ((تفسير الثعلبي)) (341/10)، ((الهداية إلى بلوغ النهاية)) لمكي (12/ 8513)، ((تفسير السمعاني)) (308/6)، ((تفسير البغوي)) (336/5)، ((تفسير الرازي)) (376/32)، ((تفسير الخازن)) (503/4)، ((تفسير ابن كثير)) (530/8)، ((تفسير العليمي)) (468/7)، ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (557/1)، ((تفسير السعدي)) (ص: 937).

مِن أهَمِّ مقاصِدِ هذه السُّورةِ:

الاستِعاذَةُ مِن شَرِّ ما يُوَسْوِسُ في الصُّدورِ.

مِن أهمِّ الموضوعاتِ الَّتي اشتَمَلَتْ عليها هذه السُّورةُ:

الاستِعاذَةُ باللهِ رَبِّ النَّاسِ ومَلِكِهم وإلَهِهم مِن شَرِّ الشَّيطانِ، والَّذي مِن صِفاتِه أنَّه وَسْواسٌ خَنَّاسٌ، يُوَسْوِسُ في صُدورِ النَّاسِ، وأنَّه قد يكونُ مِن الجِنِّ ويكونُ مِن الإنسِ.

* * *

سورةُ النَّاسِ

الآيات (1–6)

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (1) مَلِكِ النَّاسِ (2) إِلَهِ النَّاسِ (3) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (4)

الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (5) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (6)

غريب الكلمات:

الْخَنَّاسِ: أي: الشَّيطانِ الَّذي يَخنِسُ –أي: يَرجِعُ ويَتأخَّرُ ويَستَتِرُ– إذا ذُكِرَ اللهُ عزَّ وجَلَّ، وأصلُ (خنس): يدُلُّ على استِخفاءٍ وتسَتُّرٍ.

* * *

تفسير الآيات:

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (1).

أي: قُلْ –يا محمَّدُ– متعَوِّذًا باللهِ وَحْدَه: ألتَجِئُ وأستجيرُ برَبِّ النَّاسِ الَّذي يُدَبِّرُ أمورَهم، ويُصلِحُ أحوالَهم.

مَلِكِ النَّاسِ (2).

أي: مَلِكِ جَميعِ النَّاسِ، فهُم تحتَ سُلطانِه وتدبيرِه، وقُدرتِه وقَهْرِه، ويَنفُذُ فيهم أمْرُه وقضاؤُه دونَ غَيرِه.

إِلَهِ النَّاسِ (3).

أي: مَعبودِ النَّاسِ الحَقِّ، المُستَحِقِّ للعبادةِ وَحْدَه، وكُلُّ مَعبودٍ سِواه باطِلٌ.

مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (4).

أي: ألتَجِئُ وأستجيرُ برَبِّ النَّاسِ مِن شَرِّ الشَّيطانِ الَّذي يُوسوِسُ بالشَّرِّ، والَّذي يَذهَبُ عن العبدِ ويتأخَّرُ ويختَفي إذا ذكَرَ رَبَّه.(186)

---

(186) اختُلف في معنى: ﴿مِن شَرِّ الوَسْواسِ الخَنّاسِ﴾ على قولين: الأول: ﴿مِن شَرِّ الوَسْواسِ﴾ يعني: من شرّ الشيطان ﴿الخَنّاسِ﴾ الذي يخنس مرة ويوسوس أخرى، وإنما يخنس عند ذِكر العبد ربَّه.

كما قال تبارك وتعالى: قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ [الأعراف: 16–17].

وقال سُبحانه: وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ * وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ [الأعراف: 200 – 202].

الثاني: الذي يوسوس بالدعاء إلى طاعته في صدور الناس، حتى يستجاب له إلى ما دعا إليه من طاعته، فإذا استجيب له إلى ذلك خنس.

وعلَّق ابنُ تيمية (٧/ ٣٩٦) على القول الأول –وهو قول ابن زيد وما في معناه– بقوله: «فبيَّن ابن زيد أنّ الوسواس الخنّاس من الصِّنفين».

ورجَّح ابنُ جرير (٢٤/ ٧٥٥) العموم، فقال: «والصواب من القول في ذلك عندي أن يُقال: إنّ الله أمر نبيَّه محمدًا أن يستعيذ به من شرّ شيطانٍ يوسوس مرة ويَخْنِسُ أخرى، ولم يَخُصَّ وسوسته على نوعٍ من أنواعها، ولا خُنُوسَه على وجْهٍ دون وجْه، وقد يوسوس بالدعاء إلى معصية الله، فإذا أُطِيع فيها خَنَس، وقد يوسوس بالنهي عن طاعة الله، فإذا ذَكَر العبد أمر ربّه، فأطاعه فيه وعصى الشيطان خَنس، فهو في كلّ حالتيه وسْواسٌ خَنّاس، وهذه الصفة صفته».

ورجَّح ابنُ تيمية (٧/ ٣٩٣ – ٣٩٤) قائلًا: «والقول الصحيح الذي عليه أكثر السلف أنّ المعنى: من شرّ الموسوس من الجِنّة ومن الناس، من شياطين الإنس والجن»، فـ «قوله: ﴿مِن الجِنَّةِ والنّاسِ﴾ لبيان الوسواس، أي: الذي يوسوس من الجِنّة، ومن الناس في صدور الناس».

وعن عبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رَسولُ اللهِ – ﷺ –: ((ما مِنكم مِن أحَدٍ إلَّا وقد وُكِّلَ به قَرينُه مِنَ الجِنِّ. قالوا: وإيَّاك يا رسولَ اللهِ؟ قال: وإيَّاي، إلَّا أنَّ اللهَ أعانَني عليه فأسْلَمَ؛(187) فلا يأمُرُني إلَّا بخَيرٍ)).(188)

وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ رَسولَ اللهِ – ﷺ – قال: ((يَعقِدُ الشَّيطانُ على قافيةِ رأسِ أحَدِكم إذا هو نامَ ثلاثَ عُقَدٍ، يَضرِبُ كُلَّ عُقدةٍ: عليكَ لَيلٌ طويلٌ؛ فارقُدْ! فإنِ استيقَظَ فذكَرَ اللهَ انحَلَّت عُقْدةٌ، فإنْ توضَّأَ انحَلَّت عُقْدةٌ، فإن صلَّى انحَلَّت عُقْدةٌ؛ فأصبَحَ نَشيطًا طَيِّبَ النَّفسِ، وإلَّا أصبَحَ خَبيثَ النَّفسِ كَسْلانَ)).(189)

وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ رَسولَ اللهِ – ﷺ – قال: ((إذا نُودِيَ للصَّلاةِ أدبَرَ الشَّيطانُ وله ضُراطٌ؛ حتَّى لا يَسمَعَ التَّأذينَ، فإذا قُضِيَ النِّداءُ أقْبَلَ، حتَّى إذا ثُوِّبَ(190) بالصَّلاةِ أدبَرَ، حتَّى إذا

---

(187) فأَسْلَم: برفعِ الميمِ وفتحِها، وهُما روايتانِ مشهورتانِ، فمَن رفَع قال: معناه: أسْلَمُ أنا مِن شَرِّه وفِتْنَتِه، ومَن فتَح قال: إنَّ القَرينَ أسْلَمَ –مِن الإسلامِ– وصار مؤمنًا لايأمُرُني إلَّا بخَيرٍ.

يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (157/17).

(188) رواه مسلم (2814).

189) رواه البخاريُّ (1142) واللَّفظُ له، ومسلمٌ (776).

(190) التَّثويبُ: المرادُ به: الإقامةُ؛ فإنَّه رُجوعٌ إلى النِّداءِ، يُقالُ: ثابَ الرَّجُلُ، إذا رجَع.

يُنظر: ((فتح الباري)) لابن رجب (425/3).

قُضِيَ التَّثويبُ أقبَلَ؛ حتَّى يَخطِرَ بيْن المرءِ ونَفْسِه، يقولُ: اذكُرْ كذا، اذكُرْ كذا، لِما لم يكُنْ يَذكُرُ، حتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ لا يَدري كمْ صَلَّى!)).(191)

الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (5).

أي: الَّذي يُلقي في صُدورِ النَّاسِ على وَجهِ الخَفاءِ والتَّكريرِ بالمعاني الباطِلةِ، فيُزَيِّنُ لهم الضَّلالَ، ويَحُثُّهم على الشَّرِّ، ويُثَبِّطُهم عن الخَيرِ.

مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (6).

أي: أعوذُ باللهِ مِن شَياطينِ الجِنِّ وشياطينِ الإنسِ الَّذين يُوَسوِسونَ بالشَّرِّ في صُدورِ النَّاسِ.

كما قال تعالى: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا [الأنعام: 112].

وقال الله سُبحانَه وتعالى: يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ [الأعراف: 27].

وعن صَفِيَّةَ بنتِ حُيَيٍّ رَضِيَ اللهُ عنها، عن النَّبيِّ - ﷺ - قال: ((إنَّ الشَّيطانَ يَجري مِن ابنِ آدَمَ مَجرى الدَّمِ)). رواه البخاري (7171).

---

(191) رواه البخاريُّ (608) واللَّفظ له، ومسلمٌ (389).

وعن أبي هُرَيرةَ رَضِـيَ اللهُ عنه، قال: قال رَسـولُ اللهِ – ﷺ –: ((يأتي الشَّـيطانُ أحَدَكم، فيقولُ: مَن خَلَق كذا؟ مَن خَلَق كذا؟ حتَّى يقولَ: مَن خَلَق رَبَّك؟! فإذا بلَغَه فلْيَستَعِذْ باللهِ ولْيَنْتَهِ)).(192)

* * *

---

(192) ولْيَنْتَهِ: أي: عن الاسْـتِرسـالِ معه في ذلك، بل يَلجأُ إلى الله في دفْعِه، ويَعلَمُ أنَّه يريدُ إفسـادَ دينِه وعقلِه بهذه الوَسـوَسـةِ، فيَنبغي أن يَجتَهِدَ في دفْعِها، بالاشتِغالِ بغيرِها.

يُنظر: ((فتح الباري)) لابن حجر (340/6).

رواه البخاريُّ (3276) واللَّفظُ له، ومسلمٌ (134).

الحمد لله على التمام

﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

* * *

تمَّ بفَضلِ اللهِ العظيمِ، ذي الإحسانِ العَميمِ، الفَراغُ من تفسيرِ القرآنِ العظيم

«الْمُغْنِي فِي التَّفْسِيرِ»

على نحوٍ جامعٍ شاملٍ، يُعينُ على تدَبُّرِ كتابِ اللهِ ومعْرِفةِ معانيهِ والعَمَلِ بما فيه؛

فالحَمدُ لله الذي هدى ووفَّقَ لهذا، والحَمدُ لِله الذي بنِعمتِه تتمُّ الصَّالحاتُ،

واللهُ المرجوُّ أن يتقبَّلَ هذا السِّفرَ المبارَكَ بقَبولٍ حَسَنٍ،

وأن يضَعَ له القَبولَ بَينَ عِبادِه، فيَظَلَّ نِبراسًا مُضيئًا للدُّروبِ، وهاديًا للقُلوبِ.

هذا وما كان في هذا الكتابِ مِن صوابٍ فمِن اللهِ وحدَه،

فهو المحمودُ والمستعانُ، وما كان فيه مِن خطأٍ فمنَّا ومِن الشَّيطانِ،

ويأْبى اللهُ إلَّآ أنْ يَتَفَرَّدَ بالكمالِ.

الفهرس

"هَذِهِ مُسْوَدَّةُ نُسْخَةٍ إِلِكْتْرُونِيَّةٍ، جَمِيعُ حُقُوقِهَا مَحْفُوظَةٌ لِلْمُؤَلِّفِ.

لَا يُسْمَحُ بِنَشْرِهَا أَوْ تَدَاوُلِهَا إِلَّا بِإِذْنٍ كِتَابِيٍّ صَرِيحٍ مِنَ الْمُؤَلِّفِ."

نسخة إلكترونية

المغني في التفسير

المُحرِّرُ الجَامِعُ لِتَفَاسِيرِ السَّلَفِ

[تَهْذِيبُ التَّفْسِيرِ المُحَرَّرِ لِلدُّرَرِ السَّنِيَّةِ]

[مُطَرَّزًا بِحَاشِيَةٍ مِنْ تَحْرِيرَاتٍ وَتَرْجِيحَاتٍ وَتَعْلِيقَاتِ عُيُونِ تَفَاسِيرِ المُحَقِّقِينَ فِي التَّفْسِيرِ:

{ابْنِ جَرِيرٍ، وَابْنِ عَطِيَّةَ، وَابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ، وَابْنِ كَثِيرٍ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى}

كَتَبَهُ وَاعْتَنَى بِهِ

د/ هَانِي بْن عَبْده

د/ آلَاء رِضَا